جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية

مذكرة ماستر

العلوم الإنسانية و الاجتماعية

العلوم الاجتماعية

فلسفة عامة

إعداد الطالبة: بوزياني الرميساء

يوم: 2019/07/01

مفهوم الإنسان في الفكر الحضاري عند مالك بن نبي

لجنة المناقشة:

لزهرعقيبي	أ.مح.ب	جامعة محمد خيضر بسكرة	مقررا
معاريف أحمد	أ.مح.ب	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا
كوشكار فتح الله	أ.مح.ب	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية : 2018 - 2019

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان

الإهداء

مقدمة.....أـ د

الفصل الأول: شخصية مالك بن نبي وفكره..... 10ـ39

تمهيد..... 10

المبحث الأول: شخصيته..... 11ـ26

1: حياته ونشأته ووفاته..... 11

2: مصادر فكره..... 13

3: آثاره ومؤلفاته..... 17

المبحث الثاني: فكره الحضاري..... 26ـ38

1: تعريف الحضارة..... 26

2: شروط الحضارة..... 30

3: موقع الإنسان ضمن مشكلات الحضارة.....33

خلاصة..... 39

الفصل الثاني: طبيعة الإنسان..... 42ـ63

تمهيد..... 42

المبحث الأول: الإنسان غير المتحضر..... 43ـ56

1: تعريف الإنسان..... 43

2: عوائق نهضة الإنسان..... 47

المبحث الثاني: الإنسان المتحضر..... 56ـ62

1: توجيه الثقافة 57

2: توجيه العمل..... 61

3: توجيه رأس المال..... 61

خلاصة..... 63

الفصل الثالث: مهمة الإنسان..... 64ـ81

تمهيد..... 64

المبحث الأول: في السياسة..... 65ـ71

1: مفهوم السياسة..... 65

2: الإنسان في عالم السياسة..... 66

المبحث الثاني: في الاقتصاد..... 71ـ76

1: مفهوم الاقتصاد..... 71

2: الإنسان في عالم الاقتصاد..... 72

المبحث الثالث: في التربية..... 77ـ80

1: مفهوم التربية..... 77

2: الإنسان في عالم التربية..... 77

خلاصة..... 81

خاتمة..... 83-86

قائمة المراجع..... 87-91

الإهــداء

أهدي هذا العمل إلى والديَ العزيزين

حفظهما الله ورعاهما

إلى زوجي الكريم الذي كان مشجعا وسندا لي

وأعانني في عملي هذا

إلى إخوتي وعائلتي الكريمة جميعا

إلى رفيقات دربي

وصديقاتي العزيزات التي جمعتنا البحوث

منذ بداية المشوار الجامعي

وإلى كل إنسان طالب ومحب للعلم وكل من ساندني

في هذا العمل من قريب أو بعيد

شكــــر وتقديـــــــــــــــــــــــــــــر

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير

إلى أستاذي المشرف: لزهر عقيبي حفظه الله على جل

التوجيهات والنصائح الهادفة والقيَمة

التي قدمها ومنحها لي وعلى جهده المبذول معي وأشكر أعضاء

اللجنة على

مناقشتهم لموضوعي هذا.

وباللـــــه نستعـــــــــين

مـــقـدمـة

مقدمة

تميّز العالم العربي والإسلامي بوجود العديد من المفكرين العرب والمسلمين الذين سعوا بكل جهدهم إلى توضيح وتفسير المشاكل التي وقعت فيها الأمة العربية محاولين اقتراح عدّة حلول لها، ومن بين المفكرين البارزين في الفكر العربي الإسلامي نجد المفكر الجزائري "مالك بن نبي".

يعتبر مالك بن نبي شخصية بارزة وم تميّزة في الفكر العربي الإسلامي عامة والجزائري خاصة، وهذا راجع لأفكاره ومصطلحاته التي تميزه عن غيره من المفكرين، فالدارس والمتأمل في فكر مالك بن نبي سيكتشف أنّه أعطى اهتماما كبيرا وعميقا للحضارة عموما والإنسان المسلم بشكل خاص، مهتما بنقائصه وعلله ومحللا لمشكلاته ، ومقترحا لعدة حلول له ا في إطار إسلامي محدد ، لكي يتجاوز بها مختلف عوائقه ومشاكله.

وقد وقع اختيارنا على موضوع (مفهوم الإنسان في فكر مالك بن نبي الحضاري) وذلك لأهميّة الإنسان ودوره في إنجاز الحضارة ، باعتباره كائنا مكرما من عند الله، بالإ ضافة إلى سعينا لمحاولة فهم أهم المشكلات التي وقع فيها الإنسان المسلم ومحاولة التعرف على الحلول المناسبة لواقعنا الإسلامي، أيضا دراسة فكر "مالك بن نبي" الذي كان من أهم الأفكار في الواقع العربي، كما تتمثل أهميّة البحث في موضوع الإنسان في عصرنا الحالي في أنّ الإنسان أصبح مهمشا لا قيمة له وطغت المادة عليه أي أصبح الإنسان يُختزل في الماديات وأصبحت تهان شعوب بكاملها وتتعرض للاستعمار والتشويه والدمار دون إعطاء أي أهميّة لذلك الكائن المكرّم.

ومن بين أهم الدوافع والأسباب التي أدت بنا إلى اختيار هذا الموضوع:

أولا : العامل الذاتي: وهو الميل إلى الفكر العربي عموما ومالك بن نبي خاصة، بالإ ضافة إلى أنّ فكر مالك بن نبي يمس الواقع المعاش، وكذلك الرغبة في دراسة فكر "مالك بن نبي" ومحاولة معرفة الحلول التي قدمها لمعالجة مشاكل الإنسان العربي المسلم

أمّا العامل الموضوعي فيتمثل في : محاولة توضيح وفهم فكر العلامة الجزائري مالك بن نبي لكي تستفيد الأجيال من أفكاره الواعية و توجيهاته الهادفة، وأخذ العبر من حياته ومكافحته في مواجهة العدو، وتعلم الصبر ومواجهة الفتن والتحدي في سبيل نشر الفكر الإسلامي.

وباعتبار أنّ مالك بن نبي من المفكرين الذين عنو ا بدراسة الإنسان واحتل مكانة مرموقة في فكره، إن لم نقل أنّها إشكالية أساسية في فكره، فجل ومعظم أفكاره ومؤلفاته تنطوي تحت عنوان مشكلات الحضارة ، والإنسان هو العنصر الأساسي والفعال في بناء الحضارة عنده، وعلى هذا يمكننا طرح الإشكالية التالية: كيف ينظر مالك بن نبي إلى الإنسان ؟

ويتفرع عن هذا السؤال عدة تساؤلات فرعية هي: ما مفهوم الحضارة؟ وما هو موقع الإنسان ضمن مكونات الحضارة؟ ما طبيعة الإنسان غير المتحضر والإنسان المتحضر؟ وما هي مهمة الإنسان العملية؟

ومن أجل دراسة هذا الموضوع اعتمدنا على منهجين: المنهج الوصفي والمنهج التحليلي وذلك من خلال وصف مختلف مفاهيمه وأفكاره بشكل تحليلي، من أجل توضيح تلك الأفكار الموصوفة و تبسيطها.

ولقد سعينا في بحثنا هذا إلى تحقيق جملة من الأهداف لعل أبرزها:

- تبيين دور الإنسان في انجاز الحضارة.
- التعرف على أهم المشكلات التي شكلت عائقا للإنسان عن النهضة.
- محاولة التعرف على أهم الحلول والتوجيهات التي اقترحها مالك بن نبي من أجل نهضة الإنسان.
- التأكيد على أن الدين مقوّم أساسي من مقومات أي حضارة.

وقد حظيَ فكر مالك بن نبي بمجموعة من الدراسات التي تناولته بالبحث والتحليل نذكر منها:

. البناء الحضاري عند مالك بن نبي: ل"جيلالي بوبكر".

. الفكر التربوي عند مالك بن نبي: ل"العابد ميهوب".

. مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة: ل"حسن موسى محمد العقبي".

. الفكر السياسي عند مالك بن نبي: ل"بوراس يوسف".

أمّا فيما يخص الصعوبات التي تعرضت إليها هي كالآتي: صعوبة تحليل عنصر الإنسان باعتباره جزء من مكونات الحضارة، بالإضافة إلى ضيق الوقت، وافتقار مكتبتنا لهذا النوع من الكتب الفكرية، أمّا الصعوبة الأكبر فتتمثل في المنهج والطريقة التي يعرض بها مالك بن نبي أفكاره حيث نجده يعتمد على تكرار نفس الأفكار ونفس الفصول تقريبا في كتبه، وبالرغم من وجود هذه الصعوبة إلّا أنّها لم تمنعني من السير في بحثي هذا، بل دفعت بي إلى المواصلة بكل جهد.

ولإنجاز هذا البحث استعنت بعدّة مصادر ومراجع أهمّها: مؤلفات مالك بن نبي والمتمثلة في: شروط النهضة، ميلاد المجتمع، مشكلة الثقافة، تأملات

بالإضافة إلى بعض المراجع، والمتمثلة في تلك التي ذكرنا بعضها كأهّم الدراسات التي تكلمت عن فكر مالك بن نبي

حتى أتمكن من ضبط الأطروحة وتحقيق التسلسل في الأفكار، قسمت البحث إلى مقدمة

وثلاثة فصول وخاتمة، وكان عنوان الفصل الأول " شخصية مالك بن نبي وفكره "، ويندرج تحته مبحثين: المبحث الأول شخصيته، وفيه ثلاث عناصر: الأول تطرقت فيه إلى حياة مالك بن نبي وكيف نشأ وترعرع وصولا إلى وفاته، أمّا العنصر الثاني تناولت فيه أهم مصادره الفكرية، وأهم العوامل التي أثرت في بروز فكره بما في ذلك العامل الإصلاحي والعامل الغربي. وفي العنصر الثالث تناولت آثاره ومؤلفاته، وتطرقت بالتعريف المبسط لكل إنجاز ومؤلف من مؤلفاته. أمّا المبحث الثاني فقد عنونته بفكره الحضاري وأدرجت فيه ثلاث عناصر: العنصر الأول تناولت فيه: تعريف الحضارة عامة سواءً من الناحية الاشتقاقية أو الاصطلاحية، وتعريف الحضارة خاصة عند مالك بن نبي. والعنصر الثاني تطرقت فيه إلى شروط الحضارة والذي

يندرج تحته ثلاث أقسام: تكوين عالم الأشخاص، تكوين عالم الأفكار، وتكوين عالم الأشياء. أما فيما يخص العنصر الثالث والذي تكلمت فيه عن موقع الإنسان ضمن مشكلات الحضارة وتناولت فيه عنصر الإنسان والتراب والزمن.

وقد عنونت الفصل الثاني ب"طبيعة الإنسان"، والذي يندرج تحته مبحثين: المبحث الأول عنوانه الإنسان غير المتحضر، وهذا المبحث يحتوي على عنصرين: العنصر الأول: تعريف الإنسان عامة سواءً من الناحية الاشتقاقية و الاصطلاحية، وتعريف الإنسان بصفة خاصة عند مالك بن نبي. أمّا العنصر الثاني عنونته بعوائق نهضة الإنسان، والذي ينقسم بدوره إلى عنصرين كبيرين هما: معوّقات داخلية ومعوّقات خارجية، وكل عنصر من هذه العناصر ينقسم إلى عدّة أقسام. أمّا المبحث الثاني فعنوانه: الإنسان المتحضر. يندرج تحته ثلاث عناصر: العنصر الأول يتمثل في توجيه الثقافة والذي ينطوي تحته أربع عناصر كالتوجيه الأخلاقي، التوجيه الجمالي، المنطق العملي، التوجيه الفني، أمّا العنصر الثاني فيتمثل في توجيه العمل، والعنصر الثالث توجيه رأس المال.

الفصل الثالث عنونته ب: مهمة الإنسان، وأدرجت تحته ثلاث مباحث: المبحث الأول عنوانه في السياسة، وهذا المبحث يحتوي على عنصرين، العنصر الأول: عرفت السياسة بشكل عام كما عرفتها بشكل خاص عند مالك بن نبي، والعنصر الثاني عنونته بالإنسان في عالم السياسة، أمّا المبحث الثاني فعنوانه: في الاقتصاد ويندرج تحته عنصرين، العنصر الأول: عرفت الاقتصاد بصفة عامة وبصفة خاصة عند مالك بن نبي، والعنصر الثاني عنوانه: الإنسان في عالم الاقتصاد، أما المبحث الأخير فعنوانه: في التربية، ويندرج تحته أيضا عنصرين، العنصر الأول: تطرقت فيه إلى تعريف التربية بشكل عام سواءً من الناحية الاشتقاقية أو الاصطلاحية أما العنصر الثاني فكان بعنوان الإنسان في عالم التربية.

الفصل الأوّل:

شخصية مالك بن نبي وفكره

الفصل الأوّل: شخصية مالك بن نبي وفكره

تمهيد

المبحث الأوّل: شخصية مالك بن نبي وفكره

1 حياته ونشأته ووفاته

2 مصادره الفكرية

3 آثاره ومؤلفاته

المبحث الثاني: فكره الحضاري

1 تعريف الحضارة

2 شروط الحضارة

3 موقع الإنسان ضمن مشكلات الحضارة.

خلاصة

تمهيد:

يعتبر"مالك بن نبي" شخصية بارزة و مرموقة، تفتخر بها الأمة العربية والإسلامية عامة والجزائر خاصة.

فمالك بن نبي موسوعة فكرية هامة و أفكاره كانت منبع و مصدر لقيام العديد من الدول و تطورها، حيث ينطلق "بن نبي" في طرح أفكاره من رؤية دينية إنسانية ، إذ تصور أنّ بناء أي حضارة يعتمد على العناصر الثلاث: الإنسان والتراب والوقت ومن خلال عرضي هذا سأحاول التعريف ب"مالك بن نبي" وفكره الحضاري الذي ميّزه عن باقي المفكرين، حيث سأتطرق في هذا الفصل إلى عرض شخصية المفكر "مالك بن نبي" ومحاولة التعرف على أهم المشكلات والعوامل التي مرّ بها والتي ساهمت في بناء فكره، ثم الخوض والتأمل في مؤلفاته.

بالاضافة إلى هذا نتعمق لنتعرف على مفهوم الحضارة عند "مالك بن نبي" والتي هي أساس ومنطلق فكره كما نجد أنها تقوم على عدّة شروط أساسية، ولكي نفهم الحضارة عند "مالك بن نبي" يجب أن نتعرف على أهم العناصر المركبة لها ألا وهو الإنسان.

المبحث الأول: شخصية مالك بن نبي.

1.1: حياته ونشأته ووفاته.

أ. حياته و نشأته:

(مالك بن عمر بن خضير بن مصطفى بن نبي، ولقد اشتهر باسم "مالك بن نبي" وكان يلقب بالصديق، وكان والده متعلما في وقت لم يكن الناس يتعلمون فيه بسبب سياسة التجهيل الفرنسية) [1]، (ولد "مالك بن نبي" في مدينة قسنطينة من القطر الجزائري عام 1905 لأبوين مسلمين)[2] ، ثم استقر هو وعائلته في مدينة تبسه، يعتبر "مالك بن نبي" الابن الوحيد في أسرته وله ثلاث أخوات ماتت إحداهن وهو صغير، كانت أمه السيدة زهيرة تعمل في الخياطة من أجل إعانة زوجها الذي كان موظفا بسيطا في الإدارة الحكومية في تبسه، كانت أسرته فقيرة (و قد كان الحدث الأول الذي سجل أثرا بالغا على "مالك بن نبي" هو هجرة جده لأبيه رفقة عمه إلى طرابلس الغرب لرفضه مساكنة المستعمر)[3]، أي أنّ عائلة "مالك بن نبي"رفضت أن تعيش وسط الذل الذي يمارسه المحتل، فبقي "بن نبي" وحيدا دون سند لذلك سافر إلى تبسة وبقي عند أهل زوجته.

بدأت رحلة"مالك بن نبي" الدراسية بالكتاب والمدرسة الفرنسية، حيث وازن بينهما في بداية الأمر ثم لم يوفق بينهما، نتيجة لضعف الأساليب المستعملة في الكتاب، هذا ما أدى إلى ابتعاده عن الكُّتاب وواصل مسيرته الدراسية في المدرسة الفرنسية، إلى أن تفوق في الدراسة الإعدادية بدرجة جيدة، ومن هنا عاد إلى قسنطينة لإكمال دراسته هناك، وهنا بدأت مرحلة جديدة له، إذ نما وعيه السياسي والديني وساهم في نمو وعيه أستاذه(مولود بن موهوب) *، فتطور فكر "مالك

(1) حسن موسى محمد الغقبي: مالك بن نبي و موقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، رسالة لنيل شهادة: الماجستير، تحت إشراف: صالح حسين الرقب، قسم العقيدة و المذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، 2005، ص28.

[2] غازي توبة: الفكر الإسلامي المعاصر دراسة و تقييم، ط1، 1969، (دب)،ص81.

[3] بوراس يوسف: الفكر السياسي عند مالك بن نبي، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، 2013، الجزائر، ص18.

* مولود بن موهوب ولد سنة 1963و توفي سنة 1935، ذو نزعة إصلاحية ، من أهم مؤلفاته: قصيدة المنصفة، ومختصر الكافي في العروض و القوافي.(ويكيبيديا)

بن نبي" وأتقن اللغة الفرنسية، وفي هذه المرحلة تعرف "بن نبي" على تلاميذ الشيخ و المصلح و العلامة "عبد الحميد بن باديس" * من خلال (حركة الإصلاح)، حيث يقول:(كان اسم الشيخ قد بدأ يتردد في المدينة، و تعرفي على بعض تلامذته جعلني أدرك أننا ننتمي إلى عائلة فكرية واحدة، ستسمى في ما بعد في الجزائر (حركة الإصلاح)) [1]، وسنة 1928 التقى "مالك بن نبي" بابن باديس لأوّل مرة وتحادثا.

ذهب "بن نبي" إلى فرنسا وأراد الالتحاق بمعهد الدراسات الشرقية حيث قدم طلبه إلاّ أنّه نتيجة للعنصرية والسياسة التي تمارسها فرنسا تم رفض طلبه، ومن هنا بدأ "مالك بن نبي" يدرك اللعبة الاستعمارية، ثم انظم إلى جمعية فرنسية وهي (الوحدة المسيحية للشبان الباريسيين)، ويمثل دخوله لهذه الجمعية دخولا للحضارة الغربية. إذ يقول:(و كنت بهذا الطريق أيضا–يقصد دخوله لمدرسة اللاسلكي– ادخل الحضارة من باب آخر، بعد أن دخلت من باب(وحدة الشبان المسيحيين الباريسيين)) [2]، وكان "مالك بن نبي" في هذه الجمعية هو الداعي للإسلام والمدافع له، حيث حاول القائمون و المترئسين على الجمعية تعجيزه والتغلب عليه لكن دون جدوى.

بقي "مالك بن نبي" مشتتا بين فرنسا والجزائر، محاولا الموازنة بين معيشته ونشاطه الإصلاحي.

وفي سنة 1938 تم دعوته من طرف بعض الجزائريين، من أجل تأسيس(نادي المؤتمر الجزائري الإسلامي) بهدف محو الأمية في صفوف العمال الجزائريين المهاجرين، وأصبح مديرا على رأس هذا النادي، وفرح كثيرا لأنّ هذا النادي فسح له المجال في مشاركة وترجمة أفكاره مع أعضاء النادي حيث يقول: (...في هذه اللحظة من السعادة الشاملة شعرت بأنّي سعيد، سعيد بأول انتصار لي(بعد فترة من الحصار)على الاستعمار...) [3]، ثم تم استبعاده من النادي بدعوة

* عبد الحميد بن باديس ولد سنة 1889و توفي سنة 1940، ذو نزعة إصلاحية، من أهم مؤلفاته: العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية.(ويكيبيديا)

[1] المرجع نفسه: ص20.

[2] المرجع نفسه: ص 21.

[3] موسى لحرش: إستراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي، (دط)، 2006،عنابة، الجزائر، ص46.

أنّه ليست له شهادة تدريس، وأثناء توجهه إلى القاهرة التقى بالرئيس الراحل "جمال عبد الناصر"*.

ب. وفاته:

اشتد المرض على "مالك بن نبي" حين كان يلقي بعض المحاضرات، وذلك خلال رحلته

إلى مدينة الأغواط بالجزائر، سنة 1973، فكان يعاني من سرطان البروستاتا، وسافر إلى فرنسا من أجل العلاج، فاشتد عليه المرض أكثر أثناء إجرائه للعملية، وفي" 31 أكتوبر 1973" توفي "مالك بن نبي" في الجزائر العاصمة عن عمر يناهز الثامنة والستون، تاركا وراءه نتاجا فكريا متعددا يدور محوره حول "مشكلات الحضارة".[1]

ويعتبر السيد"عمر كامل مسقاوي" الابن الروحي(لمالك بن نبي) حيث عمل على نشر فكره بعد وفاته (إنّ الأستاذ عمر مسقاوي لم يدخر أي جهد في إيصال الأمانة –الأفكار–إلى أصحابها وذلك منذ نصف قرن، فلقد كانت–ومازالت– قضيته بعد وفاة أبيه الروحي"بن نبي").[2]

1.2:مصادره الفكرية:

_لابد من وجود مصدر فكري لكل عالم أو مفكر، إذ لا يوجد عالم أو مفكر انطلق من فراغ بل لابد من وجود خلفية فكرية له تساهم في بناء تفكيره سواء كانت هذه الخلفية خلفية ثقافية أو اجتماعية أو سياسية...الخ، ومن أجل فهم فكر "مالك بن نبي" يجب الاطلاع على أهم الآراء والأفكار التي ساهمت في تبلور فكره.(ومن بين المؤلفات التي أثرت في فكره مقدمة ابن خلدون،

* جمال عبد الناصر هو ثاني رؤساء مصر ولد سنة 1918 و توفي سنة 1970.(ويكيبيديا)
[1] المرجع نفسه: ص50.
[2] مالك بن نبي: لبيك،(تر) زيدان خوليف، دار الفكر، ط1 ، دمشق، 2009، ص21.

حيث استمد منها نظريته عن دور الحضارة وعن التغيّر الاجتماعي من دور الدولة عند ابن خلدون و إن اختلف عنه)[1]، كما اطلع على كتاب "كيف نفكر" لجون ديوي.

ويمكن اختصار العوامل التي أثرت في شخصية "مالك بن نبي" في عاملين أساسيين هما: العامل الإصلاحي والعامل الغربي.[2]

أوّلا: العامل الإصلاحي:

ونقصد به جملة العوامل المستمدة من بيئته الاجتماعية ومحيطه الحضاري الإسلامي، وما يتصل به من التأثيرات الإسلامية في دراسته، وكذا تأثير مطالعاته العربية[3].

يعتبر"مالك بن نبي" (زليخة) وهي جدته لأمه مدَّرسته الأولى، حيث أثرت فيه تأثيرا وطنيا ودينيا كبيرا، وذلك من خلال قصصها التي كانت ترويها له عن والدتها وجدته الكبرى (باية)، ومعاناتها مع الاستعمار، حيث نجت بأعجوبة حين رماها والداها في هوة بواسطة حبل لينقذا شرفها من الاستعمار، كما ساهمت قصص جدته زليخة بزرع عدّة قيّم فيه مثل: الإحسان وعمل الخير، البر...حيث يقول:(...وفجأة سمعت بباب الدار سائلا ينادي، (أعطوني من مال الله)، ولم أكن عندها أكلت من فطيرتي أكثر من النصف، ومع ذلك بادرت بإعطائها له عندما تذكرت واحدة من حكايات جدتي عن الإحسان وثوابه)[4].

كما ساهم جده لأبيه، من خلال هجرته من الجزائر ورفضه العيش مع المستعمر في إحياء الروح الإسلامية فيه والوطنية والشجاعة ومناهضة المستعمر.

بالاضافة إلى هذا كان لوالديه أثرا كبيرا في توجيهه، حيث حرصا على تكوين ابنهما تكوينا إسلاميا دينيا، فدفعت والدته سريرها الخاص لمعلمه الذي يعلمه القرآن لحرصها عليه.

---

[1] شعيب شنوف: الحركية الاقتصادية في الدول النامية بين عالمية مالك بن نبي و العولمة الغربية، دار المحمدية العامة، 2003، الجزائر، ص13.
[2] بوراس يوسف: مرجع سابق،ص25.
[3] المرجع نفسه:ص13.
[4] المرجع نفسه: ص26.

كما ساهم معلموه الجزائريون في تثقيفه ثقافة عربية إسلامية، (وكان على رأس هؤلاء المعلمين الشيخ عبد المجيد و كان أستاذا في (معهد تكوين المعلمين) [1]. ويعتبر الشيخ مولود بن موهوب وهو أستاذ التوحيد والسيرة النبوية (بمعهد تكوين المعلمين)، ومفتي مدينة قسنطينة من أكثر المعلمين تأثيرا في "مالك بن نبي") [2]، حيث تكوَّن على يد (عبد القادر المجاوي) وهو أحد الإصلاحيين وأصبح إصلاحيا بحكم تكوينه على يده، وسعى إلى نشر الفكر الإصلاحي.

كما أعجب "مالك بن نبي" بالبيان العربي للمنفلوطي وذلك في كتابيه "النظرات والعبارات"، كما كان يطالع عدّة جرائد مثل: جريدة النجاح، الإقدام، الشهاب.

ثانيا: العامل الغربي:

كان لهذا العامل أثرا كبيرا و بليغا في تكوين "مالك بن نبي" وشخصيته، ويتجلى هذا التأثير بشكل بارز في معايشته للمجتمع الفرنسي، ومن خلال بيئته و محيطه الدراسي.

ففي محيطه الدراسي قام معلموه الفرنسيون، بالتأثير فيه من الناحية المنهجية والعملية، حيث يقول:(فمن جهة عامة كان أساتذتنا الفرنسيون يصبون في نفوسنا محتوى ديكارتيا،

يبدد ذلك الضباب الذي نمت فيه العقلية الميثولوجية التي تتعاطف مع الخرافات النامية في الجزائر)[3].

وسنتكلم عن أستاذين أثرا على "مالك بن نبي" في ثقافته وفكره أولهما السيد مارتان(martin)، كان أستاذا له بالإعدادية بمدرسة(سيدي الجلي)، و بفضله امتلك "مالك بن نبي" ثراء وزادا في اللغة الفرنسية حيث وضع لتلاميذه برنامج يسمح باستعارتهم للكتب، وزيادة حبهم للمطالعة [4]،

[1] المرجع نفسه: ص27.
[2] المرجع نفسه:ص27.
[3] المرجع نفسه: ص 27.
[4] المرجع نفسه:ص32.

يقول بشأن أستاذه (martin):(أنّه كان يثري تلاميذه بالمفردات ويطبع في نفوسهم الذوق وفن الكتابة...الخ).[1]

وثانيهما هو السيد بوبريتي(boubreiter) وهو أستاذ الأدب الفرنسي وتاريخ العصور القديمة بنفس المدرسة(سيدي الجلي) بقسنطينة، وبفضل دروس هذا الأستاذ وتوجيهاته نما وعي "مالك بن نبي" وتطور، حيث كان يُوَجِهُهم لقراءة دروس معيَّنة[2].

وعلى العموم فإنّ دراسة "مالك بن نبي" في قسنطينة ساهمت في تكوين شخصيته وملامحه الأوّلية، سواء في الجانب الإصلاحي من خلال تأثره بأساتذته الجزائريين، أو في الجانب المنهجي العملي الدقيق من خلال تأثره بأساتذته الفرنسيين، فهذه المرحلة ساهمت في بناء فكره العام.

سافر"مالك بن نبي" إلى فرنسا للدراسة وبالتالي أعاد الاتصال بالعالم الغربي، حيثُ صُدم بالانحلال في اللباس والسلوك للوهلة الأولى، لكن لم يركز عليه بل تجاوزه إلى الجانب الخفي لهذه الحضارة حيث يقول:(عندما أدرك كان هذا الانحلال ما هو إلاّ الوجه الظاهري لهذه المدينة التي تختبئ وراءها صور الطاقات الحية الخفية التي تصنع أمجاد الحضارة الغربية، وتحول دون نكوصها) [3]. وتتمثل صور الطاقات الحية عند"مالك بن نبي" في: الفعالية، العلمية، الجمالية، حيث حاول "بن نبي" تطبيق هذه الطاقات في سلوك الإنسان المسلم، و لكل طاقة من هذه الطاقات مصدر خاص بها.

اكتشف "مالك بن نبي" عنصر الفعالية من خلال وحدة الشبان المسيحيين الباريسيين، وهذه الصفة تميّز كل السلوك الغربي، فمثلا في السلوك الفرنسي ما يميّز الإنسان أنّه يشتغل طول وقته، حتى في وقت فراغه من عمله فعند الانتهاء من عمله يشتغل في منزله، فمن خلال هذا

[1] موسى لحرش: مرجع سابق، ص20.
[2] بوراس يوسف: مرجع سابق،ص32.
[3] المرجع نفسه: ص 32.

النادي الذي كان يلبي الحاجات الضرورية للشبان العاملين والدارسين بعيدا عن أهلهم، اكتشف "مالك بن نبي" نمطا جديدا من العلاقات الاجتماعية أهمها: التعاون بين الأفراد، التسامح، التنظيم، واعترف بكثير من الفضل لهذا المكان.

ومن خلال مزاولة "مالك بن نبي" الدراسة في مدرسة اللاسلكي اكتسب صفة العلمية، حيث تخرج كمهندس كهربائي منها، لكن الغرض الأساسي لقدومه إلى فرنسا هو الدخول في (معهد الدراسات الشرقية) إلاّ أنّه رفض لاعتبارات سياسية وعنصرية ، كما يعتبر زواج "مالك بن نبي" من خديجة* عاملا من عوامل تنمية الحس لديه، إذ أن "مالك بن نبي" يميل للنظام و النظافة الشخصية منذ نعومة أظافره، كما أنّ زوجته الفرنسية و ذوقها الفني و حاستها الجمالية عمقت فيه هذا الجانب و تطور الجانب النفسي لديه.

كان "مالك بن نبي" مولعا بالتراث الفكري الغربي ومدركا لأهميّته، حيث اطلع على عدّة كتب لهذا التراث وما ساعده على ذلك هو إتقانه للغة الفرنسية.

(وأول الكتب التي مارست تأثيرها على "مالك بن نبي" كان كتاب (التلميذ le disciple) لبيار بورجي، والذي أخرجه من عالم الأوهام والسذاجة كما يقول هو)[1].

ومن خلال قراءته لجون ديوي، تعرف على الطابع العملي للمجتمع الغربي عموما

والأمريكي خصوصا، كما أثرت بعض الكتب الفرنسية على شخصيته وفكره، مثل: (الإنسانية) اليسارية التي بينت له أبشع صور الاستعمار.

1.3: آثاره (مؤلفاته):

* خديجة: تدعى سيليستين بول فيليبون، فاتنة باريسية أصيلة، بعد زواجه منها غيّر اسمها إلى خديجة.(ويكيبيديا)

[1] المرجع نفسه: ص34.

أنجز "مالك بن نبي" ما يزيد عن ستة وعشرين مؤلفا، عالج من خلال هذه المؤلفات "مشكلات الحضارة"، حيث قام من خلال هذه المؤلفات بدراسة تحليلية لمعظم المشكلات التي بقيت حاجزا في تقدم الشعوب العربية الإسلامية خاصة والشعوب المتخلفة بصفة عامة، فكان "مالك بن نبي" مفكرا وصاحب قضية بارزة حاول أن يعالج مشكلة التخلف التي تعاني منها بلاده بصفة خاصة والأمّة العربية الإسلامية بصفة عامة، فألّف عدّة مؤلفات من بينها ما يلي:

مؤلفات تعالج أفكار وقضايا ذات بعد عالمي:

(وهي تمثل أساس مشروعه الحضاري الذي يعتبر إصلاحيا نهضويا بالدرجة الأولى بالنسبة لجميع الشعوب التي أمنت بالتخلف قدرا لها ونذكر منها:)[1]

أوّلا: شروط النهضة(les conditions de la renaissance)1949م

تعتبر "مشكلات الحضارة" العنوان الرئيسي الذي ينطوي تحته عدة مؤلفات، ويعتبر كتاب "شروط النهضة" ثاني كتاب أنتجه "مالك بن نبي" بعد كتاب "الظاهرة القرآنية"، ترجم هذا الكتاب "شروط النهضة" إلى لغات مختلفة، ونشر لأول مرة باللغة الفرنسية، ثم تمت ترجمته إلى اللغة العربية من طرف "عمر كامل مسقاوي" و "عبد الصبور شاهين".

يحتوي هذا الكتاب على بابين، الباب الأول معنون "بالحاضر والتاريخ" والثاني كان عنوانه "المستقبل" حيث افتتح كل باب من هذين البابين بأنشودة رمزية، ويرى في الباب الأول أنّ (دور الشعوب الإسلامية أمام الزحف الاستعماري خلال القرن الماضي حتى الربع الأول من هذا القرن كان دورا بطوليا فقط) [2]، فمن أجل حل مشكلة الاستعمار، يجب أن نفهم بأنّ المشكلة الأساسية لكل شعب هي مشكلة الحضارة الخاصة به، وذلك من خلال فهم كل شعب بأهم العوامل التي تؤدي إلى بناء حضارته أو هدمها، فلا يقتصر التخلص من الاستعمار بالقتال فقط

[1] لويزة لعميري: نظرية الثقافة عند مالك بن نبي – دراسة تحليلية نقدية- رسالة لنيل شهادة: ماجستير، تحت إشراف: خالد عيقون، قسم اللغة و الأدب العربي، كلية الآداب و اللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2014، ص18.
[2] المرجع نفسه: ص20.

والقوة، و على سبيل المثال نجد أهل البدو الذين كانوا يتمتعون بالقوة والشجاعة وثاروا ضد المستعمر بكل ما لديهم من قوة إلاّ أنّهم لم يستطيع إخراجه، فحسب "مالك بن نبي" أنّ هذه الشعوب كانت تقاتل المستعمر بالقوة وتجهل العنصر والركيزة الأساسية لهذه المشكلات وهي تتمثل حسبه في "القابلية للاستعمار"، فهذه الشعوب كانت تحارب الجانب الخارجي من خلال القوة وأهملت الجانب الجوهري.

لكن بالرغم من منطقية"مالك بن نبي" إلاّ أنّه لا يمكننا إنكار أهم الأدوار والمقاومات التي قام بها الأبطال الجزائريين كالأمير عبد القادر والشيخ "بوعمامة" في إيقاظ وعي الشعب

وتحريك ضميرهم من أجل مواجهة المستعمر، ورفضهم للذل والاستسلام والرضوخ.

وبظهور"جمعية العلماء المسلمين" بقيادة العلامة والشيخ والمصلح "عبد الحميد بن باديس" بدأت تتغير الأوضاع من خلال أهم الأفكار التي نشرتها هذه الجمعية الداعية إلى النهضة والإصلاح، وكان شعار هذه الجمعية هو الآية الكريمة:"إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" (الرعد11).

ثم انتقل "مالك بن نبي" إلى الباب الثاني وهو "المستقبل"، وفي هذا الباب تناول المعادلة الحضارية وهي:

حضارة= إنسان+ تراب + زمن

ويعتبر "الفكرة الدينية" هي الرابط الذي يركب بينهما، وهي متصلة بالحضارة دائما،

ويمكن أن تكون هذه الفكرة الدينية فكرة يؤمن بها شعب ما ويتعلق بها ويصل إلى التضحية لأجلها، فهذه الفكرة ليست مختصرة في الدين الذي يأتي من خلال الوحي فقط، وانطلاقا من دور وأثر الفكرة الدينية في تكوين حضارة ما، يعرض "مالك بن نبي" قانون للظاهرة الحضارية

الذي يبنى في جوهره على أثر الفكرة الدينية ودورها في تكوين أيّة حضارة، ومن خلال هذا القانون يظهر ثلاث مراحل أساسية للفكرة الدينية وهي ما يلي:

1- مرحلة الروح (الميلاد):

في هذه المرحلة يعيش المجتمع وفقا لغريزته ويكون على فطرته، إلى حين ظهور عقائد دينية وأفكار روحانية، هذه الفكرة الروحية والعقيدة الدينية تقوم وفقا "لعملية شرطية" * تعمل على ضبط غرائز المجتمع وعلى تحقيق انسجام بين تلك الغرائز والعقيدة الدينية الجديدة في إطار علاقة وظيفية بينهما.

2-مرحلة العقل(الأوج):

في هذه المرحلة تنتشر الفكرة الدينية وبالتالي يتطور المجتمع وتقوى علاقاته الداخلية، فالحضارة حسب "مالك بن نبي" تظهر في الأمة بصورة وحي من السماء، يقوم بتوجيه

وتسيير الناس نحو معبود غيبي فالحضارة تقوم حينما يستخدم الإنسان عقله وينظر نظرة بعيدة كل البعد عن حقبته، وحياته الأرضية وعند اكتشافه لحقيقة حياته (يكتشف معها أسمى معاني الأشياء التي تهيمن عليها عبقريته وتتفاعل معها)[1] وبالتالي يتطور العقل

وتتطور العلوم والفنون، وهذا ما يلزم عنه انتشار في الحضارة وامتدادها. لكن هذا الامتداد والانتشار ينتج عنه نوعا من الترف والبذخ وبالتالي يؤدي إلى موت الحضارة.

3- مرحلة الغريزة (الأفول):

[1] نفس المرجع: ص 22، 23.

وفي هذه المرحلة تسقط الحضارة وذلك نتيجة لتحرك الغرائز وأخذ العقل مكان الروح الذي عمل على ضبط و تهذيب تلك الغرائز في حين أنّ العقل لم يستطع السيطرة عليها أي على تلك الغرائز، فيفسد المجتمع بفقدان الفكرة الدينية لوظيفتها.

ثانيا:فكرة الإفريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ(l'idée afro-asiatique):(صدر سنة 1956 وكانت نسخته الأصلية بالفرنسية، وقام بترجمته الدكتور عبد الصبور شاهين، وصدر بمناسبة انعقاد مؤتمر باندونغ، عام 1956)[1]، حاول في هذا الكتاب تشخيص ومعرفة وتوجيه الرجل الأفرسيوي وإخراجه من سلطة المستعمر إلى عالم الإنسانية، يقول "مالك بن نبي" (إنّ المؤتمر (الأفرسيوي) قد افتتح أعماله بالنسبة لعالم (الكبار)(بلحظة الحقيقة) وبالساعة التي وجب أن يدافع فيها عن نفسه. وكان عالم الكبار قد وجهت إليه دعوة ليبدي رأيه بصراحة في موضوعات المؤتمر الأساسية في إطارها الإنساني، وليس فقط في الإطار الغربي. وهكذا سجل أسبوع باندونغ تفوّق الجانب الإنساني في السياسة العالميّة)[2]

ثالثا:مشكلة الثقافة (la problème de la culture): صدر سنة 1959، وترجم على يد الأستاذ عبد الصبور شاهين، يقول عمر مسقاوي عن هذا الكتاب: (قد جاءت أفكار بن نبي حول مفهوم الثقافة برؤية جديدة، لم تألفها المصطلحات المستوردة التي تمت صياغتها في إطار الفكر الليبرالي، أو في إطار الفكر الاشتراكي التقدمي)[3]

رابعا:الصراع الفكري في البلاد المستعمرة(la lutte idéologique dans les pays colonises): صدر سنة 1960، وهو أوّل كتاب كتبه باللغة العربية، تناول فيه أساليب الاستعمار الخفية التي يمارسها كالقضاء على الحركة الفكرية أو النهضوية في بدايتها...الخ من أجل امتداد استغلاله في تلك المستعمرات، لذلك سعى "مالك بن نبي" للكشف عن هذه الأساليب الخفيّة.

[1] بوراس يوسف: مرجع سابق، ص37.
[2] مالك بن نبي: فكرة الإفريقية الآسيوية، (تر) عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط3، 1992، الجزائر، ص24.
[3] بوراس يوسف: مرجع سابق، ص38.

خامسا:تأملات (réflexions): صدر سنة 1961، قام "مالك بن نبي" من خلال هذا الكتاب بالتأمل في حوادث ومشكلات الوطن العربي ومحاولة التخلص من هذه الحوادث وبناء حضارة.

سادسا:في مهب المعركة(dans le souffle de la bataille): صدر سنة 1961، (وهو مجموعة مقالات كتبها الأستاذ مالك بن نبي في باريس في نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات بالفرنسية)[1]، تَرجم هذه المقالات إلى اللغة العربية حينما ذهب إلى القاهرة، وقد أطلق على هذه المقالات اسم " في مهب المعركة" لكونها دافعا للثورة الجزائرية، وكانت الطبعة الأولى لهذه المقالات عام 1961.

سابعا:ميلاد المجتمع(naissance dune société): صدر سنة 1962، كُتب باللغة الفرنسية، وترجم من طرف عبد الصبور شاهين إلى اللغة العربية، تناوّل في هذا الكتاب شبكة العلاقات الاجتماعية.

ثامنا:بين الرشاد و التيه (entre la rectitude et l'égarement): صدر سنة 1978، (هي مجموعة من المقالات كتبها مالك بن نبي باللغة الفرنسية، في جريدة (الثورة الإفريقية) في الستينات بعد عودته إلى الجزائر، ثم قام بجمعها وترجمتها بنفسه سنة 1972)[2] تناول في هذه المقالات مشكلات العالم الثالث بعد الاستقلال السياسي، كما تناول أحداث الستينات في العالم العربي والإسلامي والجزائر خاصة.

تاسعا:من أجل التغيير (pour changer l'Algérie): صدر سنة 1989، (عبارة عن مجموعة مقالات كتبها "بن نبي" باللغة الفرنسية. ونشرها في جريدة "الثورة الإفريقية la révolution africaine")[3] بعد وفاته جُمعت هذه المقالات ضمن كتاب " من أجل تغيير الجزائر" تطرق فيه إلى عدّة اتجاهات: الاقتصاد، الاجتماع، الثقافة...وكل العناصر التي تؤدي إلى بناء حضارة.

[1] المرجع نفسه: ص39.
[2] المرجع نفسه: ص، 43،44
[3] موسى لحرش: مرجع سابق، ص61.

عاشرا:القضايا الكبرى(les grands thèmes): صدر باللغة الفرنسية لأول مرة، وقام الطيب الشريف بترجمته إلى اللغة العربية، ضمّ هذا الكتاب خمس محاضرات[1]

مؤلفات تعالج قضايا ذات بعد إسلامي و عربي:

وهذه المؤلفات يعالج فيها كذلك مشكلات الحضارة مثلها مثل المؤلفات السابقة إلاّ أنّه ركز فيها على قضايا وطنه ومن بين هذه المؤلفات :

أولا:الظاهرة القرآنية(le phénomène coranique): صدر لأوّل مرة بالجزائر، وترجم على يد الدكتور عبد الصبور شاهين، كتبه بالفرنسية سنة 1946، (وهو مقاربة نظرية عن القرآن الكريم، ذات طابع علمي تضع قضية الإيمان في ضوء العلم)[2]

ثانيا:وجهة العالم الإسلامي(vocation de l'islam): (صدر سنة 1954 باللغة الفرنسية، وقام بترجمته الدكتور عبد الصبور شاهين، وهو مستوحى من كتاب شروط النهضة، لكنه يختلف عنه بشموله العالم الإسلامي) [3] ويقوم من خلاله بنقد مختلف حركات الإصلاح، وتوجيه العالم الإسلامي نحو طريق النهضة.

ثالثا:فكرة كومنويلث إسلامي(l'idée d'un Commonwealth islamique): صدر سنة 1960، باللغة الفرنسية، وترجم على يد الأستاذ الطيب الشريف، يقول عمر مسقاوي حول هذا الكتاب: (فكرة كومنويلث إسلامي يرسم إطارا لمشروع يمنح العالم الإسلامي موقعا له في خريطة العالم المعاصر)[4]

رابعا:آفاق جزائرية(perspectives algériennes): صدر سنة 1964، كُتب باللغة الفرنسية، تناول هذا الكتاب ثلاث مشكلات: مشكلة الحضارة، مشكلة الثقافة، ومشكلة الإيديولوجية أو

[1] بوراس يوسف: مرجع سابق، ص44.
[2] المرجع نفسه: ص36.
[3] المرجع نفسه: ص37.
[4] المرجع نفسه: ص38.

المفهومية، (وكل هذه المحاضرات تحاول في جوهرها الكشف للجيل الصاعد عن السبيل الذي يضع الجزائر(وغيرها) في رؤية عليا للتاريخ، في أفق عالمي يتمازج مع التطور الشامل للعالم)[1]

خامسا:مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي(le problème des idée dans le monde musulman): صدر سنة 1972، كتبه بالفرنسية، وترجم على يد كل من الدكتور بسام بركة وأحمد شعبو، حاول "مالك بن نبي" من خلال هذا الكتاب توضيح أنّ المشكلة الجوهرية في العالم الإسلامي هي مشكلة أفكار وليست وسائل.

سادسا:المسلم في عالم الاقتصاد(le musulman dans le monde de l'économie): دعا "مالك بن نبي" من خلال هذا الكتاب إلى ضرورة التحرر من التبعية الاقتصادية للغرب، سواءً كانت النظرية الاشتراكية أو الرأسمالية، فأي نظرية يجب أن توافق وتطابق العامل الاجتماعي، يقول "مالك بن نبي": (والآن إذا عدنا إلى الحديث عن مثقفينا في المجال الاقتصادي، نرى أنّهم وقفوا موقف اختيار وتفضيل بين (آدم سميث) و (ماركس)، بينما كانت القضية ولازالت قضية تطعيم ثقافي للمجتمع الإسلامي، يمكِنُّه من استعمال إمكانياته المذهبية والجسمية، وبصورة عامة تجعل كل فرد فيه ينشط على أساس (معادلة اجتماعية) تؤلهه لإنجاح أي مخطط اقتصادي)[2]

سابعا:دور المسلم و رسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين (le rôle d'un musulman dans le dernier tiers du 20 siècles:

(هو كتيب صغير يتكون من خمسة و عشرين صفحة يتضمن نص محاضرتين ألقاهما في دمشق، كانت الأولى في الثامن و العشرين من مارس عام 1972م بعنوان "دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين" والثاني في الثاني والعشرين من شهر ماي من السنة نفسها

[1] موسى لحرش: مرجع سابق، ص58.
[2] بوراس يوسف: مرجع سابق، ص43.

بعنوان "رسالة المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين"). [1]وقد ركز فيه على القرن العشرين لاختلافه عن القرون الأخرى، حيث عرف تحولات جذرية في جميع المجالات.

ففي محاضرته الأولى تناول وتكلم عن دور المسلم بصفة عامة، وذلك من خلال نشر رسالة الله وأسس الشريعة الإسلامية وقواعدها(فإن أراد المسلم أن يقوم به فلابد له أن يرفع مستواه إلى مستوى الحضارة أو أعلى منها كي يرفع الحضارة بذلك إلى قداسة الوجود الذي لا قداسة له إلاّ بوجود الله)[2]، حيث يبلغ المسلم الحقيقة الدينية ، نتيجة لارتفاع مستواه وبالتالي تعميم دينه، ومن هنا ينشر الإسلام والنور في الحضارات المتعطشة.

وفي المحاضرة الثانية والتي ما هي إلاّ امتدادا للأولى، يبيّن أنّ الغربيين تعرضوا لأزمات نتيجة بعدهم عن الله، في مقابل ذلك نجاحهم في العلوم، لذلك كانت رسالة "مالك بن نبي" موجهة للإنسان المسلم من أجل حماية نفسها وإنقاذها وإنقاذ الآخرين، ومن أجل بلوغ ذلك يجب أن تتوفر في المسلم ثلاثة شروط هي(أن يعرف نفسه من دون مغالطة،

وأن يعرف نفوس الآخرين من دون كبرياء وتعال، وأن يعرف أنّ لكل فكرة جانبان، جانب الصحة وجانب الصلاحية)[3].

ثامنا:مجالس دمشق: وهو عبارة عن عدّة محاضرات قدمها "مالك بن نبي" في دمشق أثناء زيارته هو وعائلته لها، وكانت هذه المحاصرات عبارة عن محاولة بيان أهم ركائز الحضارة كالثقافة والقابلية للاستعمار...الخ.

أما بالنسبة للإنتاج الأدبي فكان لمالك بن نبي تجربتان هما:

[1] المرجع نفسه: ص25.
[2] المرجع نفسه: ص25.
[3] المرجع نفسه: ص26،25.

أولا:رواية "لبيك حج الفقراء"(labeik): أصدر هذه الرواية باللغة الفرنسية، عبر من خلالها على معاناة الإنسان المتخلف.

ثانيا: مذكرات شاهد للقرن (mémoires d'un témoin du siècle): الجزء الأول (الطفل) صدر سنة 1966 بالجزائر وتناول فيه (المرحلة الأولى من حياته (1905- 1930) وما رافقتها من أحداث وطنية ودولية) [1] أما في القسم الثاني (الطالب) والذي صدر سنة 1970 ببيروت، تكلم فيه عن حياته الدراسية في فرنسا من (1930 إلى 1939)

بالاظافة إلى هذه المؤلفات توجد مؤلفات أخرى بعد طباعتها الأولى لم يعد نشرها، لذلك فهي شبه مفقودة، قد نتصادف أحيانا بعناوينها إلا أنها لا توجد لا في معارض الكتب ولا في المكتبات الجزائرية ، و من بين هذه المؤلفات ما يلي:

دعوة إلى الإسلام 1947م.

معنى الرحلة 1970م.

أنقذوا الجزائر 1957م.

الإسلام و الديمقراطية 1968م.

العولمة 2004م.

مذكرات شاهد للقرن الجزء الثالث 2006م.

العفن 2007م.[2]

المبحث الثاني: فكره الحضاري

[1] موسى لحرش: مرجع سابق، ص59.
[2] لويزة لعميري: مرجع سابق، ص19،18.

1.2: تعريف الحضارة

أ- المعنى العام للحضارة:

بالفرنسية civilisation

بالانجليزية civilisation

(الحضارة في اللغة هي الإقامة في الحضر، بخلاف البداوة، و هي الإقامة في البوادي).[1]

يعتبر "ابن خلدون" أوّل من أطلق مصطلح الحضارة كمصطلح قريب من معناه الحاضر، حيث ميَّز (في مقدمته بين العمران البدوي و العمران الحضري) [2]. فأصل الحضارة هي البداوة والبدو هو النقطة الأولى للحضارة أو بمعنى أخر هو أساس الحضارة، فالبدو كانوا يعتمدون على الزراعة والفلاحة وتربية الحيوانات من أجل كسب القوت الضروري

والكافي ليومهم، في حين أن الحضر يعتمدون على التجارة والصناعة وفي مقابل هذا يكون كسبهم المادي أكثر من البدو، فالحضارة إذن هي هدف البداوة بإعتبار أنّ هذه الأخيرة هي أصل و أساس الحضارة.

والحضارة عند المحدثين لها معنى ذاتي و معنى موضوعي.

1-المعنى الذاتي:

هي(مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني المقابلة لمرحلة الهمجية و التوحش).[3]

---

[1] جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية و الانجليزية و اللاتينية، دار الكتاب اللبناني، 1982، لبنان، المادة: (الحضارة).

[2] مرجع نفسه: المادة:(الحضارة).

[3] مرجع نفسه: المادة:(الحضارة).

كما أنّ الحضارة والثقافة مترادفان بمعنى ما، إلاّ أنّهما عند العلماء لا يدلان على معنى واحد، (فبعضهم يطلق لفظ الثقافة على تنمية العقل والذوق، وبعضهم يطلقه على نتيجة هذه التنمية، أي على مجموع عناصر الحياة وأشكالها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات).

2-المعنى الموضوعي:

(هو إطلاق لفظ الحضارة على جملة من مظاهر التقدم الأدبي، والفني، والعلمي،

والتقني التي تنتقل من جيل إلى آخر في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات متشابهة) [1] أي أنّ كل حضارة تختلف عن الحضارة الأخرى ، سواء من حيث اللغة، أو الحدود الجغرافية ... مثل : الحضارة الأوربية، الحضارة العربية ...الخ.

ب-الحضارة عند مالك بن نبي:

(هي مجموعة الشروط المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يقدم الضمانات الاجتماعية لكل فرد فيه)[2]. فللحضارة جانبين هما: الإرادة الحضارية والإمكان الحضاري. وهذا الأخير يمثل الجانب المادي أمّا الجانب المعنوي فيتمثل في الإرادة الحضارية

ونتيجة لتطور الجانب المادي لدى الأوربيين أدّى إلى ضياع جوهر الجانب المعنوي، فحين يصبح الإمكان الحضاري كالتكنولوجيا مثلا، هو أساس مجتمع ما ولا يستخدم لصالح الإنسان يؤدي بالضرورة إلى غياب الجانب المعنوي أو ما يطلق عليها "بالإرادة الحضارية".

كما أنّ الحضارة عند "مالك بن نبي" هي:(مفهوم كوني يتجاوز الخصوصيات الدينية،

ولها قانون كلي يصوغه على شكل معادلة كيميائية "حضارة=إنسان+تراب+وقت")[3].

[1] المرجع نفسه: المادة: (الحضارة).
[2] مالك بن نبي: مجالس دمشق، دار الفكر، ط1، 2005، دمشق، سورية، ص67.
[3] السيد ولد أباه: أعلام الفكر العربي مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهن، الشبكة العربية للأبحاث و النشر، ط 1 ،2010، بيروت، لبنان،ص135.

فالحضارة حسب"مالك بن نبي" هي نتيجة للعوامل الأساسية الإنسان والتراب والوقت.

وتعتبر الفكرة الدينية هي المركب الأساسي بين هذه العناصر. كما يعتبر"مالك بن نبي" أنّ التوفيق بين الفكر والاقتصاد هو أساس الحضارة، فمن أساسيات المجتمع البشري هي الحضارة، والمجتمع الذي لا تكون فيه حضارة لا يعتبر مجتمعا.

وفي تعريف آخر يعتبر الحضارة (الشمس التي تدور حول الأرض مشرقة في أفق هذا الشعب ثم متحولة إلى أفق شعب آخر).[1]

كما يعرف الحضارة بأنّها:(في جوهرها عبارة عن مجموع من القيم الثقافية المحققة) [2]، حيث يرى أنّ أساس الحضارة هي الثقافة. كما يعرف الحضارة انطلاقا من العناصر التي تتكون منها فهي(بناء مركب اجتماعي يشمل ثلاثة عناصر فقط، مهما كانت درجة تعقيدها كحضارة القرن العشرين)[3].

إذن العناصر الأساسية لتكوين حضارة تتمثل في الإنسان والتراب والزمن. ويعتبر العامل الأخلاقي أو الديني هو المركب بين هذه العناصر.

فانطلاقا من هذه التعريفات نجد أنّ الحضارة عند"مالك بن نبي" لها عدّة مميّزات من بينها:

1- الحضارة هي تركيب يتم وفقا لمركب ما ومنهجا ما، فالحضارة كل مركب.

2- تتكون الحضارة من جانبين: جانب مادي ، وجانب معنوي.

3- يعتبر الجانب المعنوي أساس الجانب المادي.

[1] فاطمة بور: صراع الحضارات في فكر مالك بن نبي، مجلة آفاق علمية، دورية نصف سنوية محكمة تصدر عن المركز الجامعي لتمنغاست، الجزائر، ص8.

[2] عبد الله بن حمد العويسي: مالك بن نبي حياته و فكره، الشبكة العربية للأبحاث و النشر، ط 1، 2012، بيروت، لبنان، ص388.

[3] المرجع نفسه: ص389.

إذن الحضارة عند "مالك بن نبي" هي:(نتاج فكرة جوهرية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدمغة التي يدخل بها التاريخ، وهذه الحضارة تتجذَّرُ في محيط ثقافي يحدِّدُ سائر خصائصها التي تميزها عن ثقافات و حضارات أخرى).[1]

ومنه تبدأ الحضارة حين يتخلص الإنسان من حياة القلق و الترحل وعندما يصبح الإنسان قادرا على إنتاج مصنوعات خاصة به ولا يضطر إلى استيرادها من الغير، إلاّ أنّ الحضارة تبدأ من ثقافة المجتمع، فإذا استطاع الإنسان من خلال المادة أن يشتري أشياء خاصة، إلاّ أنّه لا يستطيع شراء تلك الأفكار التي أنتجت هذه الأشياء فالمشكلة هنا هي مشكلة ثقافة. وهذه الأخيرة(هي حياة المجتمع التي بدونها يصبح المجتمع ميتا).[2]

2.2: شروط الحضارة:

إنّ أساس الحضارة عند "مالك بن نبي" هو الإنسان، فمن الشروط الأساسية للحضارة وجود إنسان يقوم بعدة جهود ومحاولات للوصول إلى الرقي، بالإضافة إلى شرط الإنسان هناك شرطان آخران لتأسيس الحضارة وهما: ضرورة وجود وحدة ترابية وعامل الزمن. إذن الشروط الأساسية لقيام الحضارة تتمثل في: الإنسان، التراب والزمن.[3]

وفي مقابل هذه الشروط هناك عوامل أساسية لابد من ذكرها وهي: تكوين عالم الأشخاص، تكوين عالم الأفكار، وتكوين عالم الأشياء، ويعتبر الدين هو العامل المهم الذّي يركب بين هذه الشروط الثلاثة، حيث يعبّر عنه "بمركب الحضارة". يقول "محمد شاويش":(دور الدين إذن في الحضارة هو دور العامل المركب لعناصرها، واختفاء هذا الدور يعني تحلل هذه العناصر إلى

[1] محمد العبدة: مالك بن نبي مفكر اجتماعي و رائد إصلاحي، دار القلم، ط1، 2006، دمشق، ص60.
[2] مالك بن نبي:مشكلة الثقافة، دار الفكر المعاصر، ط4، 1984، دمشق، سورية، ص50.
[3] بشير ضيف الله: فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2005، الجزائر، ص73.

وضع غير مركب، أيْ تحلل الحضارة)، [1] "فابن نبي" لا يجسد هذه النظرية على الحضارة الإسلامية فقط بل يطبقها على جميع الحضارات، سواء المسيحية أو اليهودية ...الخ.

أ. **تكوين عالم الأشخاص:**

يعالج "مالك بن نبي" هذه الفكرة من جانبين جانب يتعلق بالإنسان ذاته وجانب يتعلق بمكانة الإنسان وعلاقته مع الآخرين فمن الضروري وجود مجتمع يقوم على قيّم التعاون

والتكافل من أجل الوصول إلى المطلوب. ومن أجل الوصول إلى مجتمع متكافل يسير وفقا لهذه القيم يجب الاعتماد على الفكر الديني الذي يساهم في إحياء المجتمع وتحقيق الانسجام والتواصل(فالفكرة الدينية تتدخل إمّا بطريقة مباشرة، وإمّا بواسطة بديلاتها اللادينية نفسها، في التركيبة المتآلفة لحضارة ما، وفي تشكيل إرادتها). [2] فالرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان مثالا أسمى عند"مالك بن نبي" في التراحم والتآخي...، فغياب العامل الديني والذي هو أساس الانسجام بين المجتمعات يؤدي إلى انهيار المجتمع.

أمّا جانب الفرد في ذاته فهذا يعني أنّ للفرد مميّزات وقدرات خاصة به ومن خلال هذه القدرات يسعى الفرد إلى إبراز مكانته ودوره في المجتمع وذلك من خلال خبراته ومعرفته وثقافته وهته الأخيرة هي: (الجو العام الذّي يطبع أسلوب الحياة في مجتمع معيّن وسلوك الفرد فيه بطابع خاص، يختلف عن الطابع الذي نجده في حياة مجتمع آخر). [3]

ب. **تكوين عالم الأفكار:**

ويمثل العامل الثاني في مشروع "مالك بن نبي" الحضاري، وما يميّز هذا العامل هو أنّ المؤسسين له أحدهما مرتبط بالمجال السابق المتعلق بشخصية الفرد، أمّا الثاني فهو مرتبط (بما

[1] المرجع نفسه: ص73.
[2] مالك بن نبي:القضايا الكبرى، دار الفكر، ط1، 1991، دمشق، سورية، ص61،60.
[3] مالك بن نبي: تأملات، دار الفكر، ط1، 1979، دمشق، سورية، ص147.

تقدمه الفلسفات العلمية، والثقافية من محفزات للطاقة الاستيعابية للفرد) [1]، إلاّ أنّ الثقافة تختلف باختلاف المجتمعات، أمّا العلوم فلها أسس، ومبادئ مشتركة حتى وإن اختلفت طرق اكتسابها.

فالثقافة عند "مالك بن نبي" هي:(علاقة متبادلة، هي العلاقة التي تحدد السلوك الاجتماعي لدى الفرد بأسلوب الحياة في المجتمع كما تحدد أسلوب الحياة بسلوك الفرد) [2]، فحسبه أنّ الأسباب التي أدت إلى تراجع حضارتنا هي الابتعاد عن الثقافة والمبادئ والقيم التي تعبر عن هويتنا والانبهار بثقافات الحضارات الأخرى ، ولهذا ركز "مالك بن نبي" على الثقافة باعتبارها عنصر فعال في وعي الإنسان وإثراء أفكاره، فالثقافة تقوي الفرد ضدّ الاستعمار الذي يسعى إلى السيطرة والقضاء على الهوية، وبالتالي يصبح المجتمع أكثر قابلية للاستعمار والتعايش معه.

ومن خلال دراستنا لمحور الأشخاص نستنتج أنّ "مالك بن نبي" يسعى إلى غرس مجموعة من المبادئ في الفرد من بينها القيام بالواجبات ثم المطالبة بالحقوق فلا يجوز المطالبة بالحق دون أداء الواجب حيث يطبق هذه المبادئ على المجتمع الجزائري فيجد أنّ السبب الرئيسي لتراجعه هو المطالبة بالحقوق دون أداء الواجب، وهذا راجع إلى أنّ الفرد لا يشعر بالمسؤولية اتجاه العمل الذي يقوم به مهما كان مستواه العلمي أو الثقافي.[3]

فالمشكلة الأساسية هي مشكلة الفرد. قال تعالى:"إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم". فالتغيير يبدأ من الذات، ومن مدى وعي الإنسان برسالته وإدراكه لمكانته ودوره في المجتمع.

ج. تكوين عالم الأشياء:

وتمثل العامل الأخير في مشروع "مالك بن نبي" الحضاري، فهذه المرحلة تأتي بعد مرحلة تكوين الأشخاص، ثم مرحلة تكوين الأفكار الناتجة عن الأشخاص، حيث تكون الأفكار منسجمة مع

[1] بشير ضيف الله: مرجع سابق، ص81.
[2] جيلالي بوبكر: البناء الحضاري عند مالك بن نبي، دار المعرفة، 2010، باب الواد، الجزائر، ص47.
[3] بشير ضيف الله: مرجع سابق، ص84.

المنطلقات والمبادئ وتهدف إلى إحداث تغيير ايجابي في المجتمع من خلال التوجيه والإرشاد المنطقي الممنهج علميا، (فالتوجيه هو إدارة ملايين من السواعد العاملة والعقول المفكرة في أحسن الظروف الزمنية، والإنتاجية المناسبة لكل واحد من هذه الملايين...) [1]، فغياب التوجيه يؤدي إلى تشتت المجتمع وانحلاله، نتيجة لظهور عوامل ومظاهر لا يمكن التحكم فيها ومراقبتها، وبالتالي الإخلال بالقواعد والعوامل الأساسية التي يقوم عليها أيْ مشروع، ومن أجل النهضة يجب الاعتماد على مبدأ الفاعلية اللازمة، حيث يقول:(إننا نرى في حياتنا جانبا كبيرا من اللا فاعلية في أعمالنا إذ يذهب جزء كبير منها في العبث والمحاولات الهازلة) [2]، فحسبه من أجل القضاء على اللا فاعلية يجب على الإنسان الاستفادة من أخطائه السابقة، ثم يسعى إلى تثبيتها، فالإنسان هو الذي يؤدي إلى تحرك المجتمع وتطوره وسكونه يؤدي إلى سكون المجتمع، فالفاعلية هي فاعلية الإنسان وتسييره في التاريخ، وصناعة التاريخ يتم من خلال التوافق بين العوالم الثلاث: عالم الأشخاص، وعالم الأفكار، وعالم الأشياء. حيث يقول: (هذه العوالم الثلاثة لا تعمل متفرقة، بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقا لنماذج إيديولوجية من (عالم الأفكار)، يتم تنفيذها بوسائل من (عالم الأشياء)، من أجل غاية يحددها(عالم الأشخاص))[3]، أي أنّ صناعة التاريخ تتم وفقا لهذه العوالم الثلاث فبوحدة عالم الأشخاص وعالم الأفكار والأشياء يتم إنشاء حضارة، في إطار العلاقات الاجتماعية التي يساهم في بنائها عالم الأفكار بشكل كبير حيث يقول:(إنّ قيمة مجتمع معيّن في فترة ما من تاريخه، لا يعبر عنها بمجموعة(الأشياء) في هذا المجتمع، و لكن بمجموعة أفكاره) [4]، فحسبه أنّ عالم الأشياء لا يستطيع الوقوف على قدميه دون عالم الأفكار.

3.2:موقع الإنسان ضمن مشكلات الحضارة:

[1] المرجع نفسه: ص91.
[2] المرجع نفسه: ص91.
[3] مالك بن نبي:ميلاد المجتمع، (تر) عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط3، 1968، دمشق، سورية، ص27.
[4] مالك بن نبي: فكرة كمنويلث إسلامي، (تر) الطيب الشريف، دار الفكر، ط2، 2000، دمشق، سورية، ص53.

تتكون الحضارة عند"مالك بن نبي" من ثلاث عناصر أساسية : إنسان+ تراب+ وقت.

أوّلا: الإنسان:

هو أهم عامل في تركيب الحضارة عند "مالك بن نبي" لما له من دور كبير في إنتاجها، ولا يقصد "مالك بن نبي" بالإنسان الفرد بل يقصد الإنسان الاجتماعي، إذ أنّ الحضارة لا تنتج من خلال فرد واحد بل من خلال جماعة، تساهم في تقديم أفكارها من أجل إنتاج حضارة. فحسبه (أنّ أول خطوة في التغيير الاجتماعي، هو العمل الذي يغير الفرد من كونه مجرد فرد individu إلى أن يصبح شخصا personne، وذلك بتغيير صفاته البدائية التي تربطه بالنوع إلى نزعات اجتماعية تربطه بالمجتمع).[1]

إنّ الإنسان عند "مالك بن نبي" يؤثر في المجتمع من خلال ثلاث عوامل أساسية وهي: الفكر والعمل، والمال. ومنه يجب التركيز على توجيه الثقافة وتوجيه العمل وتوجيه رأس المال، والتوجيه عنده هو: الابتعاد عن الإسراف في الجهد والوقت وإستغلالهم أحسن استغلال فكم من قوى ضاعت لعدم معرفة استخدامها وبالتالي ضاع هدفها.

وبالنسبة لتوجيه الثقافة، فقد عرّف "بن نبي" الثقافة بأنّها (مجموعة من الصفات الخلقية

والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه)[2]، فللثقافة عوامل أساسية لازمة لها

وهي: عامل الأخلاق الذي يساهم في بناء العلاقات الاجتماعية، وعامل الجمال الخاص بالذوق، والمنطق العملي، والتقنية كعامل أخير.

[1] ارفيس علي: إشكالية النهضة بين مالك بن نبي و سيد قطب، رسالة لنيل شهادة: الماجستير في فلسفة الحضارة ، تحت إشراف: معيرش موسى، قسم العلوم الإنسانية و الاجتماعية و العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخظر، باتنة، 2012، ص131.
[2] المرجع نفسه: ص132.

فالأخلاق هي التي تساهم في بناء المجتمع وتماسك أفراده، لأنّ قيام المجتمع الإسلامي راجع للأخلاق التي ساهمت في بناءه من خلال القيّم والمبادئ، كما أنّ كلمة دين تعني في الأصل اللاتيني الربط والجمع.

وللجمال أهميّة بالغة في المجتمع، فهو المصدر الذي تنبع منه الأفكار، وبواسطة تلك الأفكار تنبع أعمال الفرد، فلا تستطيع الصورة القبيحة أن توحي بالخيال الجميل.

أمّا بالنسبة للمنطق العملي فهو يقصد به كيفية ارتباط العمل بوسائله، وهذا ما ينقص الإنسان المسلم وهو منطق العمل والجانب التطبيقي في حين الجانب النظري موجود.[1]

أمّا التقنية عند"بن نبي" فهي الأداة التي يبني بها الفرد حياته، ويكسب عيشه والمجتمع هو الحصن الذي يضمن حياته واستمرار نموه.

كما تكلم عن توجيه العمل الذي يقصد به: (سير الجهود الجماعية في اتجاه واحد) [2] فتعمل هذه الجهود من أجل تحسين وضع الإنسان وتطويره، فتوجيه العمل منهجيا يعتبره شرطا عاما، ثم أداة خاصة لكسب الحياة، حيث تظهر مجالات أخرى للعمل نتيجة اتحاد هذا التوجيه مع توجيه الثقافة ورأس المال.

وفي توجيه رأس المال يميّز"مالك بن نبي" بين مصطلح الثروة ورأس المال، فالثروة يستخدمها الفرد في حياته الخاصة لسد حاجياته أمّا رأس المال فهو أكثر من ذلك، يتعدى الحياة الخاصة للفرد(فالثروة مال ساكن ورأس المال مال متحرك، والمطلوب من المسلمين توجيه المال وترشيده)[3] وذلك من خلال تنشيط الأموال البسيطة وتوجيهها إلى رأس مال متحرك، فيؤكد "مالك

[1] المرجع نفسه: ص132.
[2] المرجع نفسه: ص133.
[3] المرجع نفسه:ص134.

بن نبي" على أهميّة وجود مؤسسة في المجتمع الإسلامي، تعمل على تسيير الثروة وتوظيفها، لتصبح رأس مال.[1]

ثانيا: التراب:

عالج "مالك بن نبي" التراب كمشكلة من ناحيتين: من ناحية المظهر القانوني، والمظهر الفني.

ففي المظهر التشريعي أو القانوني تكون علاقة الإنسان بالتراب من خلال الملكية بمعنى أنّ المجتمع يشرع الملكية.

أمّا المظهر الفني(ويقصد به جانب السيطرة الفنية والاستخدام الفني الذي تتيحه العلوم المختصة، كعلم التربة pédologie أو الكيمياء) [2]، كما يتكلم "بن نبي" على دور الإنسان في استغلال التراب وهذا ما ينعكس على المجتمع والاقتصاد، حيث دعا إلى معالجة جميع مشكلاته مثل: الانجراف والجفاف...الخ باستخدام الطرق العلمية، فيرى أنّ على الإنسان الاهتمام بمشكلة التراب وجعله وسيلة لتطوّر المجتمع والاقتصاد لا وسيلة لتراجعه فيقدم مثالا على ذلك المجتمع الفرنسي الذي كانت صحته مهددة بسبب رمال المحيط الأطلسي، فأحسن استغلال تلك المنطقة التي تهدد صحته، وحولها إلى منطقة اقتصادية وملجأً صحيًا للمرضى في العالم.[3]

كما يتكلم عن مشكلة الترحل التي هي مرتبطة بالإنسان والتراب كذلك، فمشكلة التراب تحل من خلال استقرار الإنسان في مكان واحد وعدم ترحله، فاستقرار الإنسان في منطقة ما يسمح له باستثمارها وتطويرها والاهتمام بها، وقدم مثالا على ذلك الإنسان الأوربي الذي استقر في الأرض منذ بدايته واستخدم كل جهوده فيها، وساهم الاستقرار في تطور الحياة الاجتماعية، وتطور مفهوم الملكية، وتم التطور بالتدريج وصولا إلى الحضارة الصناعية، "فمالك بن نبي"

[1] المرجع نفسه:ص134.
[2] الطاهر سعود: التخلف و التنمية في فكر مالك بن نبي، دار الهادي، ط1، 2006، بيروت، لبنان، ص222.
[3] المرجع نفسه:ص223.

يعتبر التراب عاملا من عوامل النهضة الحضارية.(فكلما ارتفعت قيمة الأمة وتقدمت حضارتها كلما ارتفعت قيمة التراب، وكلما تخلفت الأمة أصبح ترابها على قدرها من الانحطاط)[1].

ثالثا: الزمن:

يرجع "مالك بن نبي" تطور الحضارة الإسلامية السابقة نتيجة استغلالها الجيّد للوقت، فالوقت واحد ومطلق عند الجميع، إلّا أنّ استغلاله يختلف، فهناك من يجعل من الزمن وسيلة للثروة والازدهار وهناك من يضيُّعه وبالتالي التخلف، فيجب على الفرد والمجتمع أن يدرك أهمية الوقت والزمن، فالدقيقة إذا ضاعت ضاع معها العديد من التطور وبالتالي لا يمكن استرجاعها، فالإنسان في لحضات الغفلة ينسى الزمن يدرك أهميته في ساعة الخطر حينما يصبح هدفه المحافظة على بقائه (ففي هذه الساعات التي تحدث فيها انتفاضات الشعوب، لا يقوم الوقت بالمال، كما ينتفي عنه معنى العدم، إنّه يصبح جوهر الحياة الذي لا يقدر) [2]، وفي هذه اللحظات التي يسعى فيها الناس للحفاظ على بقائهم يدركون قيمة الزمن والوقت، (فلا تستطيع أيّ قوة في العالم أن تحطم دقيقة، ولا أن تستعيدها إذا مضت) [3]، فالوقت عند الشعب الإسلامي والشعوب الأخرى نفسه، إلاّ أنّ المجتمع الإسلامي يعرف مصطلح (الوقت) ولكن لا يفهمه ولا يدرك قيمته ولا قيمة أجزائه، ويرى أنّ التربية هي الوسيلة التي تجعل الشعب العربي الإسلامي يدرك قيمة الوقت ولا يضيِّعه، (فنعلم الطفل والمرأة والرجل تخصيص نصف ساعة يوميا لأداء واجب معين) [4]، فإذا قام كل شخص بهذا الأمر كل يوم ينعكس هذا الأمر على المجتمع الإسلامي من الناحية الاقتصادية والفنية...الخ هذا ما يؤدي إلى تطور المستوى الفكري ، واليدوي...الخ والقضاء على الخمول وبالتالي تشكل حضارة ويقدم مثالا على ألمانيا عام 1945 حيث كانت محطمة ومدمرة نتيجة الحرب العالمية الثانية، ولم يكن لها أيُّ وسيلة للنهضة، وفي

[1] العابد ميهوب: الفكر التربوي عند مالك بن نبي، رسالة لنيل شهادة: دكتوراه العلوم في علم الاجتماع، تحت إشراف: نور الدين زمام: قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014،ص172.
[2] مالك بن نبي: شروط النهضة، (تر) عبد الصبور شاهين، دار الفكر، 1986، دمشق، سورية، ص139.
[3] المصدر نفسه: ص140.
[4] المصدر نفسه: ص141.

بداية 1948 بدأ الشعب الألماني بالنهوض والانطلاق من الصفر بالاعتماد على مقوماته الاقتصادية . وفي عام 1957 وبعد عشر سنوات تفتح ألمانيا معرضا ضخما بالقاهرة، وهذا يعود لاستغلالها الجيد للزمن(فقد فرضت الحكومة عام 1948 على الشعب الألماني كله نساء وأطفالا ورجالا، التطوع يوميا ساعتين، يؤديها كل فرد زيادة على عمله اليومي وبالمجان، من أجل الصالح العام فقط)[1].

وعليه فإنّ الحضارة عند " مالك بن نبي" تقوم من خلال التركيب بين هذه العناصر " الإنسان والتراب والزمن " والدين هو الرابط بين هذه العناصر.

[1] المصدر نفسه: ص142.

خاتمة الفصل الأول:

بعد التعريف " بمالك بن نبي " وأهم أفكاره خاصة حول الحضارة وشروطها وأهم مكوناتها، يمكننا القول بأنّ المفكر الإسلامي " مالك بن نبي " كان يسعى بكل قوته

وجهده من أجل إعادة إحياء الحضارة الإسلامية وإرجاعها إلى أوج قوتها ومكانتها. "فمالك بن نبي" تكلم وقدم العديد من الأفكار التي توجه الفرد والمجتمع إلى البناء الحضاري، فالحضارة حسبه لا تقوم على فرد واحد بل هي كل مشترك بين جميع الأفراد.

وبعد الاطلاع على مختلف العناصر التي تطرق لها هذا المفكر نجد أنّ "مالك بن نبي" يعطي لعنصر الإنسان والتراب والزمن أهمية بالغة في بناء أي حضارة، فبالنسبة للإنسان يستند "مالك بن نبي" إلى الآية الكريمة: {إنّ الله لا يغيروا ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}. حيث يجب على كل إنسان أن يغيِّر من نفسه وبالتالي يتغير المجتمع، أمّا بالنسبة لعنصر التراب فدعا إلى ضرورة استغلال كل شخص لحيّزه بأعمال مفيدة كالزراعة والفلاحة...الخ، وهكذا يتم الاستفادة من كل رقعة جغرافية، كما نبذ فكرة الترحل وطلب من كل شخص أن يهتم بمنطقته الخاصة.

أمّا فيما يخص عنصر الزمن فهو يعتبره أخطر عامل وذلك لأنّ كل دقيقة ضائعة هي في غير صالح الإنسان وسيندم عليها خاصة في وقت الاستعمار.

الفصل الثاني:

طبيعة الإنسان

الفصل الثاني: طبيعة الإنسان

تمهيد

المبحث الأول: الإنسان غير المتحضر

1 تعريف الإنسان

2 عوائق نهضة الإنسان

المبحث الثاني: الإنسان المتحضر

1 توجيه الثقافة

2 توجيه العمل

3 توجيه رأس المال

خلاصة

تمهيد:

أعطى "مالك بن نبي" للإنسان دورا أساسيا وفعالا في بناء الحضارة إذ يعتبر الإنسان هو المحرك والقائد للتاريخ، لذا نجد " بن نبي" في معظم دراساته يعطي أهميّة كبيرة للإنسان وذلك راجع لدوره وقدرته على تحقيق النهضة، فهو كائن مكرم بعقله وفكره ومميّز عن سائر المخلوقات، ومن خلال هذا الفصل سأتطرق إلى وجهة نظر "مالك بن نبي" حول الإنسان حيث ينظر له نظرة مميَزة ويعطي له تعريفا خاصا به، كما سنتحدث عن أهم المشكلات التي توصل لها هذا المفكر والذي جعلها ضمن عوائق نهضة الإنسان فهذه المشكلات حسب "مالك بن نبي" هي التي جعلته إنسانا متخلفا أو بمعنى آخر إنسان غير متحضر في مقابل الإنسان المتحضر الذي سنتحدث عنه في المبحث الثاني وذلك من خلال التوجيهات والحلول التي قدمها والتي تعمل بدورها على مساعدة الإنسان في التخلص من هذه العوائق والمشكلات، والسعي من أجل خلق إنسان فعال ومتحضر في جميع المجالات .

المبحث الأول: الإنسان غير المتحضر

1.1: تعريف الإنسان.

أ.المعنى العام للإنسان:

الإنسان في الفرنسية homme

الإنسان في الانجليزية man

يطلق لفظ الإنسان على الذكر والأنثى، (ومن أساليب القران أنّه، إذا كان المقام مقام تعبير عن المفرد، يذكر الإنسان نحو كل إنسان ألزمناه، وإذا كان مقام التعبير عن الجمع، يذكر الناس، نحو إنّ الله لذو فضل على الناس) [1]، وللإنسان عدّة صفات يتميّز بها عن الحيوان من بينها: العقل، الكلام...الخ. ويعرف الجرجاني الإنسان بأنّه حيوان ناطق، حيث أنّ الحيوان جنس والناطق فصل. أمّا الفارابي فيرى أنّ الإنسان يتكوّن من جزئين جزء سري وجزء علني ويتمثّل هذا الأخير في جسم الإنسان المحسوس وأعضائه، أمّا الجزء السري فيتمثّل في الجانب الروحي.[2]

كما يمكننا التمييز بين الإنسان العاقل والإنسان الاقتصادي، والإنسان الصانع.(فالإنسان العاقل من حيث أنّه تفكير ومعرفة وإرادة فينظر فيه إلى الجانب السامي منه) [3]، أمّا الإنسان الاقتصادي فهو الذي يتم تحديد سلوكه من خلال العوامل الاقتصادية فقط، دون تدخل التعاليم الدينية. والإنسان الصانع (هو الإنسان من حيث أنّه صانع ماديا ومعنويا، فيصنع الأشياء، كما يصنع جانبه النفسي ويقابل الإنسان العاقل)[4].

[1] جميل صليبا: مرجع سابق، المادة"(الإنسان).
[2] المرجع نفسه: المادة(الإنسان).
[3] إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، (دط)، 1983، القاهرة، المادة (إنسان عاقل)
[4] المرجع نفسه: المادة(إنسان صانع)

ب.الإنسان عند مالك بن نبي:

يعتبر"مالك بن نبي" الإنسان خليفة الله في أرضه، فهو أساس قيام الحضارة عنده وذلك (باعتباره خليفة الله في الأرض مصداقا لقوله تعالى:{وإذ قال ربك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنّي أعلم مالا تعلمون})[1]. لذلك يرى "مالك بن نبي" أنّ مشكلات الحضارة الإسلامية هي مشكلات منبعها الإنسان المسلم باعتباره العنصر الأساسي في نظرية الحضارة فهو(الجهاز الاجتماعي الأوّل...فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ)[2]

ولذلك نجد "بن نبي" ركز على الإنسان من جميع جوانبه الثقافية والاجتماعية والسياسية

والاقتصادية والنفسية...الخ، فيرى أنّ الإنسان له ميزتين فإذا أُعتُبِر الإنسان بأنّه كائن مكرم ومعزز من عند الله فهو لا يتأثر بالتاريخ وإذ أُعتُبِر كائن اجتماعي فهو بالضرورة يتأثر بوسطه الاجتماعي فهو يعيش في مجتمع تحدث فيه عملية تأثير وتأثر، وباعتباره كائن اجتماعي فهو يتفاعل مع الزمان والمكان وبالتالي فهو أحد نتاجات الحضارة لأنّ الإنسان(لا يدخل العمليات الاجتماعية كمادة خام، بل يدخل في صورة معادلة شخصية صاغها التاريخ وأودع فيها خلاصة تجارب سابقة وعادات ثابتة) [3] لذلك يمكننا القول بأنّ أي محاولة تسعى إلى تغيير وضع اجتماعي أو أي وضع ولا تعتبر الإنسان عاملا أساسيا في عملية التغيير فهي محاولة لا جدوى منها، فحركة الوجود ناجمة عن(علاقة بين الله إلها وربا وخالقا، وبين الإنسان خليفة، والكون مسخرا وميدان لفعل العمران) [4] إذن هناك علاقة ثلاثية إله خالق وإنسان خليفة وكون مسخر، ويتمثل دور الإنسان في عبادة الله وذلك من خلال الامتثال لأوامره والابتعاد عن نواهيه، فالقرآن

[1] مراد بن سعيد : خديجة زياني، التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي: مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، العدد الثاني عشر، ص123.
[2] فوزية بريون: مالك بن نبي عصره و حياته و نظريته في الحضارة، دار الفكر، ط1، 2010، دمشق، ص209.
[3] المرجع نفسه: ص210.
[4] زوهير عبد السلام: مشكلة الحضارة في فكر مالك بن نبي، مجلة الحقيقة، العدد18، ص12.

الكريم يعطي أهميّة كبيرة للإنسان في تحقيق الاستخلاف (يقول تعالى: {وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون}) [1]، فالإنسان إذا التزم بشروط الاستخلاف وعمل على تهذيب سلوكه وفقا لأوامر الله يحقق بذلك الاستخلاف وبالتالي استقرار الحياة.

وقد عبر "مالك بن نبي" عن الإنسان باستخدام مصطلحات عديدة من بينها:

1) الفرد الخام: والذي يعني به (أنّ الإنسان يولد(فرد خام) مزود باستعدادات ومواهب وقدرات كامنة تؤهله للقيام بالوظيفة التي خلق من أجلها، إذا ما أحسن تكييف هذه الاستعدادات والمواهب والطاقات من جهة، ومن جهة أخرى تأهيله لهذه الوظيفة)[2].

2) الإنسان الطبيعي: هو الإنسان الذي تقوده غريزته وتتحكم في سلوكاته، إلّا أنّ الدين يعمل على ضبط غرائزه وتنظيمها، وهذا ما يعرف في علم النفس بالكبت.

3) إنسان الفطرة: هو مصطلح ديني ذكر في القرآن الكريم والسنة النبوية، ويقصد به الوضعية التي جُبِل عليها الإنسان دون أن يتأثر بأي تأثيرات زمانية أو مكانية، يقول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ :"يولد المولود على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصِّرانه أو يمجسانه".

4) الإنسان المُكيَّف: تأتي هذه المرحلة تابعة للإنسان الفطري، والإنسان المُكيَّف هو(المؤهل للانتماء والاندماج في المجتمع والمؤهل للدخول في تفاعلات وعلاقات اجتماعية للقيام بأدوار يتطلبها انتماؤه)[3] ، أي أنّه الإنسان الذي يتكيَّف وفقا لمجتمعه وظروفه.

---

[1] المرجع نفسه: ص13.
[2] العابد ميهوب: مرجع سابق،ص100
[3] المرجع نفسه: ص 101، 102

5) إنسان ما قبل الموحدين: أي الإنسان ما قبل الحضارة ويعني به حالة الإنسان قبل بداية الدورة الحضارية، حيث يكون الإنسان في هذه المرحلة مستعد من أجل الدخول والخوض في تجربة حضارية جديدة، لكن من أجل خوض تجربة جديدة يجب أن يُهيئ الإنسان ويتم تجهيزه من أجل الانجاز والتكيف مع هذه الدورة.

6) إنسان ما بعد الموحدين: أي إنسان ما بعد الحضارة، أو((إنسان ما بعد مرحلة الأفول) الذي يكون مخالفا للإنسان السابق عن الحضارة، كونه فاقدا للقدرة على إنجاز "عمل متحضر" (œuvre civilisatrice) ويحتاج إلى عمليّة جوهريّة تشحنه بالطّاقة للإقلاع من جديد)[1]

7) إنسان الحضارة: (إنسان الموحدين): وهو(الإنسان المتكامل الذي يطابق دائما بين جهده وبين مثله الأعلى وحاجاته الأساسية، والذي يؤدي في المجتمع رسالته المزدوجة بوصفه ممثلا وشاهدا)[2]. أي يعمل على توظيف الدين اجتماعيا، ويجعل الإنسان وحدة اجتماعية، ويعطي قيمة للوقت والزمن وقيمة للتراب. وحسب "مالك بن نبي" أنّ إنسان الحضارة إذا لم يعتمد على الدين لا يمكن أن يكوّن حضارة.

كما عمل "مالك بن نبي" على التمييز بين الإنسان العربي المسلم والإنسان الغربي، إلاّ أنّه غيّر رأيه حين وجد كل منهما يعيش في حقبة حضارية تختلف عن الآخر، كما حاول أن يجسد أوجه الاختلاف بينهما. حيث قدّم مثالا بشعب بلجيكا والإنسان المسلم والاختلاف بينهما راجع لعامل"التوازن الاقتصادي" فالإنسان الأوربي يعرف اضطرابا وعدم توازن اقتصادي بسبب عدم التوازن والمواءمة بين الإنتاج الصناعي السريع وحاجات الشعب، فظهرت مشكلة اجتماعية لشعب بلجيكا(وهي مشكلة حركة مضطربة لا يشعر بها شعب لا يعيش في مجال هذا التيار) [3]، ذلك أنّ الحركة الصناعية المسرعة أدت إلى سرعة تطور حياة الإنسان الأوربي وهذا ما انعكس

[1] لويزة لعميري: مرجع سابق، ص 23.
[2] المرجع نفسه: ص 103، 104.
[3] محمد جلوب فرحان: الخطاب النهضوي في فكر مالك بن نبي، سلسلة الدراسات حول مالك بن نبي، 2014، (دب)، ص39.

على جميع المجالات لديه، حيث أدى إلى " مشكلة حركة مضطربة" بينما مشكلة الإنسان المسلم تتمثل في الركود وليست في الحركة مثل: المجتمعات الزراعية. ويكمن الاختلاف عنده في أنّ الإنسان الغربي مطالبه في تزايد ولا يمكن إشباعها في حين أن الإنسان المسلم مرتبط بعادات راكدة هذا ما أدى إلى ركوده، لذلك دعا "مالك بن نبي" إلى إحداث تغيير جذري في الإنسان المسلم حيث دعا إلى (صناعة أنواع من الرجال يمشون في التاريخ، مستخدمين التراب والوقت والمواهب في بناء الأهداف الكبرى)[1]. كما تكلم "مالك بن نبي" على أبعاد تشكل الإنسان ونذكر منها:

1/ البعد الروحي: اهتم "مالك بن نبي" بالجانب الروحي للإنسان المسلم، حيث يرى أنّ الإنسان لا يستطيع أن يكون الحضارة بعيدا عن الجانب الروحي أو الديني أو الأخلاقي حيث يقول: أنّ(الحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلّا في صورة وحي يهبط من السماء يكون للناس شرعة ومنهاجا)[2].

2/ البعد العقلي: أعطى "مالك بن نبي" للجانب الفكري العقلي للإنسان مكانة بالغة حيث اهتم بالتفكير وعلاقته بالجوانب الأخرى كالجانب الروحي، ويرى أنّه(بدون الجانب الروحي والجانب العقلي فإنّ عالم الأشياء ليس إلّا عبارة عن تراكم أبله جامد لا معنى ولا طعم له) [3]، فهذا البعد يتمثل في عالم الأفكار ودوره في عملية البناء الحضاري، كما تكلم "بن نبي" عن أنواع الأفكار كالفكرة الميّتة والفكرة المميتة، (ويؤكد "ابن نبي" أنّ القوة الدافعة والأساسية في عملية البناء الحضاري هي الطاقة الروحية ولا تأتي الطاقة العقلية إلاّ في الدرجة الثانية)[4].

2.1: عوائق نهضة الإنسان:

[1] المرجع نفسه: ص40.
[2] العابد ميهوب: مرجع سابق، ص104.
[3] المرجع نفسه: ص108.
[4] المرجع نفسه: ص108.

تم تصنيف معوقات نهضة الإنسان إلى صنفين: معوقات داخلية ومعوقات خارجية.

1) معوقات داخلية: وتنقسم بدورها إلى معوقات تخص الجانب الفكري والجانب النفسي والجانب الاجتماعي، وسنتكلم على كل جانب من هذه الجوانب بالتفصيل.[1]

أ/ **الجانب الفكري**: ويتمثل في العقلية الذرية ورفض النقد الذاتي وغياب الوعي المنهجي.

1. العقلية الذرية: ويقصد بها النظر إلى الأحداث نظرة جزئية فردية، وكأنما عندما نجمع هذه الأحداث تبقى مجرد أحداث بحيث لا تكون جزء من التاريخ، ومن بين مظاهر العقلية الذرية هي أنّ جهود الإنسان عبارة عن محاولات عبثية مشتتة منفصلة عن بعضها البعض حيث لا تتصف بالعمل المتتابع والمتواصل وتوجد هذه العقلية لدى المسلمين نتيجة ابتعادهم عن الفعل الحضاري. لذلك يدعو "مالك بن نبي" إلى الربط بين الحوادث والجزئيات وتعميمها على باقي الحوادث وبالتالي يكتشف الإنسان المسلم التشابه القائم بين المشكلات الخارجية التي يوجهها العالم الإسلامي، ويرى أنّ هذا العجز عن التعميم هو دليل على قصور العقل الإنساني عن النضج، في حين أنّ في حالة الحضارة الإسلاميّة تميَّز العقل الإسلامي بالتعميم والتركيب والبعد عن التجزئة.[2]

2. رفض النقد الذاتي: وهذا المشكل يعانيه الإنسان العربي المسلم حيث يرفض النقد الذاتي، في حين أنّ هذا النقد يؤدي إلى اكتشاف الأخطاء وتحليلها مما يؤدي إلى محاولة تجاوزها وبالتالي السير في طريق النهضة.

ويرى "بن نبي" أنّ غياب النقد الذاتي يؤدي إلى التهرب من المسؤولية، حيث يقول:(قد يحاول زعماء الحركة الحديثة، أن يلصقوا أسباب عطلهم بالاستعمار، ولكن ذلك ليس إلّا ضربا من

[1] أرفيس علي: مرجع سابق، ص91.
[2] محمد العبدة: مرجع سابق، ص91.

التعلل، إذ يقصدون بذلك الهرب من مسؤوليتهم الحقيقية،...) [1]. فيرى "مالك بن نبي" أنّ الإنسان المسلم ينظر إلى كلمة "نقد" على أنّها تعني "تشويه" وتجريح وتقليل من قيمتنا لذلك لم يدخلها في قاموسه العقلي.

3. غياب الوعي المنهجي : ويقصد به غياب الوعي الممنهج عند كل المحدثين ورجال الإصلاح وهذا حسبه هو سبب فشل المشروع النهضوي حتى وإن كانت هذه المشاريع النهضوية تسعى إلى التخلص من التخلف وترغب بالتطور. ويرى "مالك بن نبي" أنّ أي حضارة عرفت فترة قوة وسيطرة وفترة كمون وركود ولا تستطيع النهوض من ركودها إلاّ إذا توفرت لها نفس شروط ميلادها.

ب/ الجانب النفسي: ويتمثل في غياب الفعالية والميل إلى التكديس والقابلية للاستعمار.

1) غياب الفعالية: ونصنف تحتها ما يسمى بالشلل الأخلاقي والخلل الفكري.

الشلل الأخلاقي: يعطي "مالك بن نبي" للأخلاق مكانة هامة، ويرى أنّ لها علاقة بالحضارة والسياسة والمجتمع، وبانعدام الأخلاق تصبح السياسة "بولتيك" *، والمجتمع المتطور يتحول إلى مجتمع متخلف. ويرى أنّ الابتعاد بين النموذج القرآني والجانب العملي هو أصعب وأخطر مرض أصاب المسلمين وهذا ما أدّى إلى غياب الأسباب التي أدت إلى نهضة الصحابة. وازداد انتشار هذا المرض وتوقفت جهود الإنسان نحو النهضة والتطور،واختلت الروابط الاجتماعية، وأصبح الإنسان المسلم يعيش وفق معادلة (بما أنّ الإسلام دين كامل، وبما أنني مسلم، فالنتيجة أنني كامل)[2].

[1] ارفيس علي: مرجع سابق، ص74.

* بولتيك أو بوليتك جاء هذا المصطلح في مقابل السياسة للدلالة على نوع من السياسة يقوم على الممارسات الاستبدادية واللااخلاقية.

[2] محمد العبدة: مرجع سابق، ص87.

الخلل الفكري:

ويتمثل عند "مالك بن نبي" في الذهان وهو بصورتين أي النظر إلى الأشياء بأنّها سهلة أو عكسها أي النظر إليها بأنّها مستحيلة. ويرى أنّ الذهان في الجزائر قام على ثلاث قواعد هي:(لسنا بقادرين على فعل شيء لأننا جاهلون.

لسنا بقادرين على أداء هذا العمل لأننا فقراء.

لسنا بقادرين على تصور هذا الأمر لأنَّ الاستعمار في بلادنا)[1]

أ/ ذهان السهولة: ويقصد به أنّ الإنسان أثناء تقويمه للأشياء يراها سهلة جدا ولا تحتاج إلى جهد وتعب، وأعطى مثالا على ذلك قضية فلسطين فقد قيل أنّ اليهود لن يبقوا ويستقروا في فلسطين إلّا أشهر وسيتم إخراجهم، إلا أنّهم لحد الآن لم يخرجوا وذلك نتيجة للاستهانة بسهولة الشيء، ونجد أنّ حديث ابن خلدون عن العرب في فترة البداوة يطابق حديث "مالك بن نبي" عن "ذهان السهولة" عند الإنسان المسلم المتخلف، فابن خلدون يرى أنّ العرب البدويين يتجاوزون ويتركون الأشياء الصعبة ويتغلبون الأعلى الأشياء البسيطة، في حين نجد أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يعتمد على السهولة كالمعجزة مثلا أثناء دعوته بل كان يعتمد على الصعوبة واعتمد على التربية الطويلة.

ب/ ذهان الاستحالة: وهنا يرى الإنسان المسلم أنّ الأشياء مستحيلة ويعجز عن تحقيقها وهي سهلة غير مستحيلة، وهذا بسبب إحساسه بضعفه أو يجعلها مستحيلة كي لا يتعب نفسه بالبحث عن حلول لها، فمثلا كانت بعض الشعوب ترى باستحالة إخراج العدو والمستعمر من بلادها.[2]

[1] مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، (تر) عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط1، 2002، دمشق، سورية، ص89.
[2] محمد العبدة:مرجع سابق، ص88، 89.

2) الميل إلى التكديس: يرى "مالك بن نبي" أنّ الإنسان المسلم يجب أن يتخلص من روح التكديس وتشييئه لنفسه، إذ يرى أنّ أول ما يسعى إليه الإنسان المسلم أثناء عملية التكديس هو تكديس كل ما أنتجته الحضارة الغربية من هاتف وحاسوب وتلفاز...الخ ظنًا منه أنّه بهذه الطريقة سيصل إلى النهضة والتطور التي وصل إليها الإنسان الغربي، فيرى "مالك بن نبي" أنّ هذا التكديس لا يؤدي إلى النهضة والحضارة بل يؤدي إلى التمدن حيث يقول: (فالتمدن يمكن صناعته في لحظة معيّنة من الزمن، يكفي أن نرتدي ملابس غربية ونظارات غالية وهاتف نقال من نوع رفيع واقتناء سيارة فخمة ونتحدث بلغة غيرنا فنحطم الرقم القياسي في التمدن، لكن رغم ذلك فسنظل نحمل في ذواتنا أفكارا لا تحرك المجتمع وعقلا ضيقا لا يتعدى الأفق) [1]، فلا يمكن بناء حضارة بهذه الطريقة لأنّ الحضارة تنتج نتيجة جهود الأفراد والجماعات وليس عن طريق التكديس، فالتكديس ظاهرة لا تؤدي إلى النهضة وتظهر في مراحل الانحطاط.

3) القابلية للاستعمار: يرى "مالك بن نبي" أنّ القابلية للاستعمار(هي مجموعة الصفات العقلية والنفسية وما يناسبها من علاقات اجتماعية تجعل المجتمع لا يستطيع مقاومة الاستعمار، وبالتالي تسهيل مهمة الاستعمار) [2] حيث يعمل المستعمر على التأثير من الناحية النفسية على الفرد المغزو حتى يصبح قابلا لفكرة الاستعمار، فإذا استطاع المستعمر التأثير على الجانب النفسي للفرد وصل إلى مبتغاه وبالتالي يصبح الإنسان المغزو قابلا للسير وفق خطى الاستعمار، ويرى "مالك بن نبي" أنّ ظاهرة القابلية للاستعمار هي ظاهرة عامة في دول العالم الثالث فمثلا في المجتمع الجزائري عمل الاستعمار على نشر سياسة التجهيل من خلال نشر الخرافات والبدع وذلك من أجل زعزعة الدين الإسلامي الذي هو أساس الوحدة بين الأفراد وأساس قيام الحضارة الإسلامية، لذلك عمل المستعمر على تغيير الإنسان الجزائري وليس أمامه إلاّ الرضوخ والخضوع للاستعمار بسبب قوة السلاح وأساليب النظم السياسية والاقتصادية

[1] ارفيس علي: مرجع سابق، ص78.
[2] صباح عبيد: مقاربة حول إشكالية الاستعمار وقابلية الاستعمار بين التحليل التاريخي وفكر مالك بن نبي، مجلة الفكر المتوسطي للبحوث والدراسات في حوار الديانات والحضارات، العدد02، ص223.

والظروف الاجتماعية القاهرة التي حرمت الفرد من التعليم وسلبت منه أراضيه...الخ، فيرى أنّ المشكلات التي تصيب المجتمع هي نتيجة ضعف التفكير والتخطيط وعقم المناهج...الخ.

"فمالك بن نبي" يرى أنّه مقابل الاستعمار توجد القابلية للاستعمار، إذن المشكلة حسبه هي مشكلة الإنسان والفرد إذ يجب على كل فرد أن ينظر إلى نفسه ويعمل على تحسينها لكي يتكوّن مجتمع يسعى إلى بلوغ الحضارة والنهضة، فالقابلية للاستعمار حسبه هو التخلف الحضاري الذي أصاب المسلمين، وحالة الرضا واللامبالاة بالواقع الأليم دون بذل جهد لتغييره.

ج/ الجانب الاجتماعي:

1. تحلل شبكة العلاقات الاجتماعية: يرى "مالك بن نبي" أنّ تماسك شبكة العلاقات الاجتماعية عامل أساسي من أجل تحقيق البناء الحضاري، وتحلل هذه الشبكة وتفككها يؤدي إلى نهاية المجتمع وهلاكه وأدّى ظهور التيارات الفكرية المتعارضة إلى تفكك الروابط الاجتماعية وزوال التماسك والارتباط، هذا ما أدّى إلى ظهور(نوعين من خيانة المجتمع: نوع يهدم روحه، وآخر يهدم وسائله، والخيانة الأولى تخلق الفراغ الاجتماعي حين تهدم المبادئ والأخلاق والروح، والخيانة الثانية تخلق الفراغ حين توجه جميع الملكات المبدعة وجميع الفضائل الأخلاقية في المجتمع خارج عالم الواقع والظواهر، فإحداهما تجهل أوامر السماء، والأخرى تجهل مقتضيات الأرض)[1]. كما يؤدي تحلل شبكة العلاقات الاجتماعية إلى خلق فجوة بين الشعب والنخبة العلمية والسياسية وانعدام التواصل بينهما، حيث تبني النخبة السياسية عالما خاصا بها يمنع دخول الشعب إليه، وهذا ما يؤدي إلى تلاشي العلاقة بين الأفراد والسلطة نتيجة لعدم التواصل بين القمة والقاعدة، وبالتالي يفسد المجتمع ويتدهور. ويرى "مالك بن نبي" أنّ هذا التفكك الاجتماعي هو صفة من صفات مرحلة الغريزة والتي هي مرحلة من مراحل الدورة الحضارية ففي هذه المرحلة يزول الانسجام والتكامل بين الغرائز، فتتفكك الغرائز، وبالتالي يفقد المجتمع

[1] ارفيس علي: مرجع سابق، ص79، 80.

قيمته، وتطغى الفردية نتيجة لتحرر الغرائز ويصبح كل شخص يعمل وفق حسابه الخاص، وبالتالي تنحل شبكة العلاقات الاجتماعية.

2. عدم تماسك عالم الأفكار: يرى "مالك بن نبي" أنّ الأفكار في مجتمع ما لها جانبين: جانب ايجابي وهي بالتالي تؤثر بشكل ايجابي في المجتمع وتساهم في نهوضه، أمّا الوجه الآخر وجانبها السلبي يتمثل في أنّها تؤدي إلى عرقلة النمو الاجتماعي، فالأفكار والتصورات هي السابقة للفعل لذلك فإنّ الأفعال التي يقوم بها الفرد ما هي إلاّ ترجمة ونتيجة لأفكاره، فإما يحصل التطور والنهضة إذا كانت الأفكار فعالة أو تؤدي إلى الركود والتخلف إذا كانت الأفكار ميّتة، ويرى "بن نبي" أنّ تطور المجتمع الإسلامي مرتبط بأفكار الفرد، فالأفكار الميتة حسبه هي التي تخلق الفوضى في المجتمع الإسلامي في جميع الميادين. والفكرة الميتة(هي الفكرة التي بها خذلت الأصول، فكرة انحرفت عن مثلها الأعلى، ولذا ليس لها جذور في العصارة الثقافية الأصيلة) [1]، فالفكرة الميتة حسبه هي عبارة عن جرثومة تنشر الأمراض داخل المجتمع وعبر الأجيال حالها كحال الفكرة المميتة، والفكرة المميتة هي (الفكرة التي فقدت هويتها وقيمتها الثقافيتين، بعدما فقدت جذورها التي بقيت في مكانها في عالمها الثقافي الأصلي) [2]، ويرى "بن نبي" أنّ الأفكار الميّتة أو جرثومة المجتمع نتجت عن مجتمع ما بعد الموحدين والأفكار التي قتلته فهي تعتبر ديون تخلفت عن عصر نهضة المجتمع الإسلامي، إذن مصدر الأفكار الميِّتة هو عصر انحطاط المجتمع الإسلامي فهذه الأفكار هي عبارة عن جرثومة وراثية تهدم المجتمع الإسلامي داخليا. أمّا الأفكار المميتة أو القاتلة فهي الأفكار المكتسبة من الحضارة الغربية، ولا يقصد بذلك أنّ كل الأفكار المكتسبة مميتة، فالفكرة حسبه تكون فعالة في محيطها الخاص وثقافتها الخاصة وعندما تنتقل إلى محيط آخر تكون مميتة وقاتلة.

[1] المرجع نفسه: ص81.
[2] المرجع نفسه: ص82.

3. طغيان عالم الأشياء: في هذه المرحلة تتحول الأحكام النوعية إلى أحكام كميّة وتطغى الأشياء ويصبح أساس النجاح هو عدد الأشياء وليس استخدامها، وهذا التحول من الأحكام النوعية إلى الأحكام الكمية (نجدها بالفعل في بعض البلاد التي قادها شعورها بالعجز الفكري، وعدم قدرتها على الخوض في غمار المعالجة الناجحة للفكر المعاصر) [1]، أي عدم إعطاء أي قيمة لأصحاب الأفكار ونتاجاتهم الفكرية والاهتمام بالمعايير الكمية التي تعطي قيمة للشخص ومكانته ويتم وضعه في أماكن أصحاب الأفكار(فالمفكر ليس بمفكر ما لم يسبق اسمه بلقب ما، والأديب لا يكون مبدعا حتى ينال جائزة عالمية (كما حصل مع نجيب محفوظ الذي ظلت مكانته بين أخذ ورد حتى نال جائزة نوبل "فاطمأنت" الأوساط الإعلامية المنتقدة في مصر وغيرها إلى هذه المكانة) [2]، فالمجتمع الإسلامي حسب "مالك بن بني" أصبح سجينا لأشياء الحضارة الغربية ومنتجاتها التي أتيحت له، إلاّ أنّ الهدف منها لم يتعرف عليه، وبالتالي طغى عالم الأشياء على الأفكار إذ أصبح البحث والعمل الفكري يناقش ويقيم من خلال عدد صفحاته لا مضمونه فيُسأل الكاتب عن عدد صفحات كتابه دون أن يُسأل عن مضمونه.

4. طغيان عالم الأشخاص: يرى "مالك بن نبي" أنّ المشكلة الأساسية تتمثل في عدم القدرة على الفصل بين المبدأ والشخص الذي يمثله ويجسده على أرض الواقع، أو بمعنى أدق(عدم القدرة على الفصل بين "الفكرة المجردة" و"الفكرة المجسدة") [3]، فعندما يمثل الشخص المبدأ ويُجسد المثل الأعلى في ذلك الشخص فهذا يؤدي بالضرورة إلى أنّ الأخطاء التي يرتكبها ذلك الشخص وجميع انحرافاته تحسب على المجتمع. فيرفض عدد كبير من الأفراد تلك الفكرة بسبب أخطاء المثل الأعلى التي أُلصقت بها، في حين يتبنى بعض الأفراد أفكارا أخرى وذلك نتيجة لعجز الشخص الممثل على تحمل مسؤولية الأفكار ، ولهذا حذر القرآن الكريم من خطر التجسيد. قال تعالى: {وما محمد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم

[1] محمد شاويش: مالك بن نبي والوضع الراهن، دار الفكر، ط1، 2007، دمشق، سورية، ص98، 99.
[2] المرجع نفسه:ص99.
[3] المرجع نفسه: ص 99.

على أعقابكم}. كما يرى "بن نبي" أنّه عند فشل مشروع ما قد تلقى المسؤولية على شخص معيّن وبالتالي يعفى المجتمع من المسؤولية،(كما ألقت إذاعة القاهرة كل مسؤولية انفصال سورية عن مصر على عاتق ضابط سوري محدد هو الكزبري)[1].

2) معوقات خارجية:

وتتمثل المعوقات الخارجية عند "مالك بن نبي" في الاستعمار والدور الذي قام به. يرجع "مالك بن نبي" الاستعمار تاريخيا إلى روما حيث سُجل الطابع الاستعماري للمدنية الرومانية في كتاب التاريخ، فيرى "مالك بن نبي" أنّ الاستعمار يعتمد على خطط إستراتيجية منظمة تهدف إلى خدمة مصالحه الشخصية ومن بين هذه الاستراتيجيات ما يطلق عليه "مالك بن نبي" "بالأخطاء المولِّدة" أي أن الاستعمار يدخل عدة عراقيل بهدف عدم وصول الثورة إلى غايتها الأساسية وهدفها الأسمى وبالتالي تغيير اتجاهها مثلما حصل في الثورة الجزائرية. فيقول "مالك بن نبي": (نحن نواجه في المجتمع الإسلامي في عهد ما بعد التحضر أخطاء مولِّدة أي أنّها أتت إليه من عالم ثقافي آخر، قام بدور المولِّد) [2]، كما أن الاستعمار حسب "بن نبي" لا يهتم بالجانب الخارجي للثورة بقدر ما يهتم بالتفكيك الداخلي حيث يسعى إلى تفكيك الثورة داخليا قبل مواجهتها خارجيا ويتم تشويه وتفكيك الثورة داخليا من خلال تكوين ثورة تستخدم نفس وسائل وشعارات الثورة الأصلية وبالتالي تنشأ ثورة مضادة لها وتعمل على قتلها وأخذ مكانها، ثم يتطور دور الاستعمار محاولا إنشاء صراع فكري بشكل خفي ولا يتضح لجميع الناس ولأصحاب النظرة السطحية، ثم يسعى إلى إغراء الطبقة الواعية والمثقفة في البلاد المستعمرة وجذبها إليه بأي طريقة، فالاستعمار حسبه يهدف بالدرجة الأولى إلى تحطيم وتعطيل أفكار معيّنة حتى لا تؤدي وظيفتها وليس هدفه القضاء على الأشخاص لأنّ موت ذلك الشخص حياة لأفكاره حيث يقول:(ولقد شعر بهذا الشعور دون أي شك عندما قضى نحبه ذلك المكافح (ابن باديس) الذي

[1] المرجع نفسه: ص100.
[2] ارفيس علي: مرجع سابق، ص86.

قاد الفكرة الإصلاحية والتي كانت تشبه فكرة متجسدة فأصبحت بموت صاحبها فكرة مجردة لا يجد الاستعمار إليها سبيلا) [1]. ويعتبر معرفة الاستعمار بكل معلومات وخصائص البلد المستعمر هو أهم ما يميّزه عنا في مجال الصراع الفكري فمعلوماته عنا أكثر من معلوماتنا عنه فهو على علم بأننا ننفعل اتجاهه ولا نفعل، وعندما يبدأ بالتخطيط بإيقاعنا في حفره، نكون نحن لازلنا نفكر كيف نتخلص من تلك الحفر التي أوقعنا فيها. والمتأمل حسب "مالك بن نبي" في الواقع الإسلامي العربي يجد أن آثار الاستعمار وبصماته لازالت موجودة والاستقلال حسبه هو نسف كل آثار الاستعمار، وصنع تاريخ جديد. لذلك فالمعركة الفكرية أصعب من المعركة المسلحة التي قادها الأوائل، إذ أنّ المعركة الفكرية تحتاج إلى جهد متكامل من جميع أبناء الأمة. فالاستعمار شبهه "مالك بن نبي" في ألعابه باللعبة الإسبانية، ففي حلبة الصراع يتم وضع قطعة قماش أمام ثور هائج ويهجم الثور على المنديل بدل المصارع حتى يتعب بدون تحقيقه لأي هدف ويعجز. وبالتالي كلما أراد الاستعمار القضاء على فكرة مجردة يقوم بالتلويح بالمنديل فمثلا يخرب مسجد كبير فيتجه جميع الناس إلى أمر المسجد وينسون أمره وهدفه. حيث يقول: (فهو يستمر إذن في التلويح بالمنديل الأحمر، حتى لا تكون للشعب المستعمر فرصة يتدارك فيها ويفكر في أمره،...) [2]. وللاستعمار حسب "مالك بن نبي" جانبين: جانب ايجابي يتمثل في خلق ونشر أفكار تخدم مصالحه. وجانب سلبي يتمثل في مؤامراته من أجل تفكيك وهدم الأفكار الفعالة.

المبحث الثاني: الإنسان المتحضر

يعتبر الإنسان عنصرا أساسيا في المجتمع حيث يؤثر فيه بفكره وعمله وماله، لهذا نجد "مالك بن نبي" أعطى قيمة كبيرة للإنسان الذي يعيش في مجتمع يعاني أزمة نهضة ونمو في عدة

[1] المرجع نفسه: ص 88.
[2] المرجع نفسه: ص89.

مجالات، كما عمل على توجيهه في ثلاثة اتجاهات: الثقافة والعمل ورأس المال، لكي يخلق منه إنسانا فعالا ومتحضرا.

1.2: توجيه الثقافة:

يعرّف "مالك بن نبي" التوجيه بأنّه: (قوة في الأساس وتوافق في السير ووحدة في الهدف إنّه ـ بمعنى آخر ـ عملية منهجية ضرورية "لتجنب الإسراف في الجهود والوقت") [1].

ويختلف تعريف الثقافة بإختلاف الفلاسفة والتوجهات، فمثلا نجد ماتسي تونغ * يعرف الثقافة بقوله: (أنّ كل ثقافة معيّنة هي انعكاس من حيث شكل مفهومها لمجتمع معيّن) [2].

أمّا ويليام اوجبرن فهو يميّز بين مجالين في الثقافة، الثقافة المادية والمتكيّفة، المادية عنده هي((مجموع الأشياء وأدوات العمل)والثقافة المتكيّفة (الجانب الاجتماعي كالعقائد والعادات والتقاليد والأفكار واللغة والعلم. التغيير الثقافي يبدأ في مجال الأشياء والأدوات ثم يمتد ليعدِّل الجانب الاجتماعي ــ الأشياء تحمل قوة التغيير) [3]. ولذلك يرد "مالك بن نبي" أكثر التفسيرات للثقافة إلى المدرسة الغربية والماركسية، فالمدرسة الغربية ترى أنّ الثقافة ثمرة الفكر أما بالنسبة للماركسية فهي ثمرة المجتمع، فالثقافة عند "مالك بن نبي" (ليست مجرد علم يتعلمه الفرد في المدارس ويطالعه في الكتب، أي بمعنى أنّها ذات مضمون معرفي صرف، بحيث تصبح تساوي النتاج التعليمي أو التخصص في ميدان من ميادين المعرفة، وإنّما هي جو عام من الأذواق والعادات والقيّم التي تؤثر في تكوين الشخصية وتحديد دوافع الفرد وانفعالاته وعلاقاته بالإفراد

[1] موسى لحرش: التوجيه الثقافي كبعد أساسي في عملية البناء الحضاري للمجتمع الإسلامي من منظور مالك بن نبي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد14، ص101.

* ولد سنة 1893، وتوفي عام 1976، رئيس الحزب الشيوعي الصيني، من أهم مؤلفاته: تحليل طبقات المجتمع الصيني، الديمقراطية الجديدة.

[2] حورية بكوش: تبسيط مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي دراسة في مفهوم الثقافة وعناصرها، مجلة رفوف، العدد العاشر، ص119.

[3] المرجع نفسه:ص118.

الآخرين وبالأشياء)[1]. كما يحاول "مالك بن نبي" توضيح الفرق بين الثقافة والعلم فيقدم مثالين، المثال الأول يقول فيه أنّ هناك شخصين ينتميان إلى مجتمع واحد، ولكن لكل فرد وظيفة تختلف عن الآخر، كراعٍ انجليزي وطبيب انجليزي. أمّا المثال الثاني فيقول فيه أنّ هناك فردين يمارسان نفس المهنة، وليسا من نفس المجتمع بل يختلف مجتمع كل منهما من حيث التطوّر، كطبيب صيني وطبيب انجليزي. ففي المثال الأول يرى أنّ ما يميّز سلوك الفردين اتجاه ظروف الحياة ومشكلاتها ما يسميه "بالثقافة الانجليزية" أي أنّ لديهما وجهة نظر متماثلة، أما في المثال الثاني فسلوك الفردين يختلف بإختلاف ثقافة مجتمع كل منهما. وبالتالي الإختلاف في السلوك لا ينتج عن العلم إنّما عن الثقافة، ومنه الثقافة عند "مالك بن نبي" هي (مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي وُلد فيه) [2] . والتوجيه الثقافي عند "مالك بن نبي" ينطوي تحته عدّة عناصر جوهريّة من بينها: التوجيه الأخلاقي، التوجيه الجمالي، المنطق العملي، والتوجيه الفني.

1/ التوجيه الأخلاقي: يرى "مالك بن نبي" أنّ مصدر الأخلاق في المجتمع هو الدين، حيث يعمل على الربط بين أفراد المجتمع وذلك استنادا لقوله تعالى: {وألّف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكّن الله ألّف بينهم} فهذه الآية حسب "مالك بن نبي" تتفق مع مصطلح "دين" من حيث المعنى ودلالته فكلمة دين في المعنى اللاتيني تعني الربط والجمع، كما يتكلم "مالك بن نبي" عن المدنية الغربية فيقول لو درسنا مشروعا اجتماعيا في فرنسا مثلا ويضرب مثال (بجمعية حضانة الأطفال) فللوهلة الأولى نرى أنّه مشروع مدني لا علاقة له بالدين، لكن عندما نتعمق فيه تاريخيا نجد هذه الفكرة تعود إلى القديس "فانسان دي بول" أي أنّها ذات أصل مسيحي، فالقديس"دي بول" هو من أنشأ مشروع الأطفال المشردين في النصف

[1] موسى لحرش: التوجيه الثقافي كبعد أساسي في عملية البناء الحضاري للمجتمع الإسلامي من منظور مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 103، 104.
[2] مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 74.

الأول من القرن السابع عشر، لذلك يرى "مالك بن نبي" أنّه من غير المعقول حصر منتجات المدنية الغربية في مجال العلم والصناعة... فالأخلاق الموجودة في العلاقات الاجتماعية هي أساس قيام المدنية الغربية، ويقدم مثال على هذا (المذياع) فالمذياع هو نتيجة جهود موّحدة من طرف كل من الروسي "بوبوف popov" والفرنسي "برانلي" وهرتز الألماني، وماركوني الايطالي، والأمريكي فلمنج. وبالتالي فالمذياع هو أثر ناتج عن هذه العلاقات الاجتماعية الموّحدة بفضل الرابطة المسيحية.[1]

2/ التوجيه الجمالي: وهو ثاني مبدأ تقوم عليه الثقافة، حيث يقوم بإضفاء الطابع الجمالي الذي يتفق مع الذوق العام من خلال الألوان والأشكال...الخ، هذا ما ينعكس على نفسية الفرد. فالمبدأ الجمالي عند "مالك بن نبي" يعتبر جوهر ثقافة المجتمع، حيث تظهر صور الجمال في لباس الإنسان، وحقيبة سفره، في أشكال البيوت والشوارع...الخ. يقول "مالك بن نبي": (الجمال موجود في الإطار الذي يشتمل على ألوان وأصوات وروائح وحركات وأشكال، يوحي للإنسان بأفكاره، ويطبعها بطابعه الخاص من الذوق الجميل...)[2].

ويرى "مالك بن نبي" أنّ هناك علاقة وطيدة بين المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي تؤثر في أيّ مجتمع، ولكل مجتمع ثقافة خاصة به فنجد مثلا مجتمع نتيجة لقيّمه الثقافية يقدم المبدأ الأخلاقي على الذوق الجمالي في حين أنّ هناك مجتمع آخر يقدم الذوق الجمالي على المبدأ الأخلاقي، فهذا الإختلاف في ترتيب عناصر الثقافة مرتبط بطبيعة المجتمع، فمثلا نجد فن التصوير في المجتمع الغربي يختلف عن المجتمع الإسلامي فنجد تصوير المرأة وهي عارية في المجتمع الغربي لها دافع جمالي في حين أنّ المجتمع الإسلامي المبدأ الأخلاقي له لا يسمح للفنان بأن يعبر عن كل أنواع الجمال، وبالتالي الفن الإسلامي يختلف عن الفن الغربي وذلك

[1] موسى لحرش: التوجيه الثقافي كبعد أساسي في عملية البناء الحضاري للمجتمع الإسلامي من منظور مالك بن نبي، مرجع سابق، ص109.
[2] المرجع نفسه: ص110.

بإختلاف ثقافة كل مجتمع وتقدم مبدأ على آخر وهذا ما ينطبق كذلك على اللباس فاللباس الغربي يهدف إلى إبراز جمال المرأة في الشارع من خلال إبراز مظهرها وتوضيحه في حين اللباس الإسلامي يختلف تماما مثل:(الحايك) الذي يهدف إلى ستر جمال المرأة في الشارع.[1]

3/ المنطق العملي: ويعتبر المبدأ الثالث الذي تقوم عليه ثقافة المجتمع، فهو(ذلك المنطق الذي يعنى بشكل كبير بالتجسيد والتطبيق وبكيفية ارتباط العمل بوسائله، وغاياته، ومنه بمحاولة استخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من الوسائل المتاحة واقعيا)[2].

أي أنّ المنطق العملي مرتبط بفعالية الفرد والجماعة. وتتجسد هذه الفعالية في نشاط الإنسان الذي أساسه الحركة فالتاريخ الإنساني عند "مالك بن نبي" هو عدد كبير من الحركات، ويقدم مثال بقوله أنّ الإنسان الذي يسير خطوة واحدة ويحرك يده مرة واحدة لا تكون انجازاته مثل الفرد الذي يسير عشر خطوات، ويحرك يده عشر مرات بطريقة هادفة. ويرى "مالك بن نبي" أنّ الإنسان المسلم ينقصه المنطق العملي والحركة، وليس منطق الفكرة (فهو لا يفكر ليعمل، بل ليقول كلاما مجردا خالٍ من ذلك الضابط الذي يربط بين عمل وهدفه، بين سياسة ووسائلها، بين ثقافة ومثلها، بين فكرة وتحقيقها...)[3].

4/ التوجيه الفني: وهو الأساس الرابع الذي تقوم عليه الثقافة في المجتمع، وهو مرتبط بنشاطات الأفراد المختلفة كالفنون والعلوم والحرف أو الصناعة كما يطلق عليها "ابن خلدون". والتوجيه الفني يعتبر بالنسبة للمجتمع أداة للمحافظة على استقراره وتطوّره ...، بينما بالنسبة للفرد وحده يعتبر أداة لبناء المستقبل وكسب العيش، وبالتالي يقر "مالك بن نبي" بضرورة وجود علاقة تربط

[1] المرجع نفسه: ص111، 112.
[2] المرجع نفسه: ص113.
[3] المرجع نفسه: ص114.

وتجمع بين المصلحة العامّة والمصلحة الفردية الخاصة، من أجل تحقيق الفعاليّة وبالتالي بناء حضارة متوازنة وقوية ثقافيا.[1]

2.2: توجيه العمل:

يرى "مالك بن نبي" أنّ للعمل مكانة هامة في بناء الحضارة فهو شرط من شروط التغيير وبدون العمل لا يمكن بناء حضارة، حيث يقول: (لكي نحقق النهضة يجب أن ننقل المجتمع من حالة العطالة والعبث إلى حالة العمل الموَّجه، إنّه سير الجهود الاجتماعية في اتجاه واحد وهو في البداية عمل تطوعي له هدف تربوي لا كسبي) [2]. كما يقول "بن نبي" (العمل وحده هو الذي يخط مصير الأشياء في الإطار الاجتماعي ورغم أنّه ليس عنصرا أساسيا كالإنسان والأرض والتراب إلاّ أنّه يتولد من هذه العناصر الثلاثة) [3]. فتوجيه العمل حسبه هو توحيد جهود كل الأفراد بما فيهم الفلاح والراعي والعالم والطالب والمرأة... من أجل خلق وضع وبيئة جديدة وكسب العيش لكل فرد، وحين يتحد توجيه العمل مع توجيه الثقافة ورأس المال يتم خلق مجالات جديدة للعمل، إذن توجيه العمل في أساسه يقوم على التوحيد بين كافة الجهود من أجل خلق التغيير كما أنّ الإسلام يحث على العمل، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ "ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده".

3.2: توجيه رأس المال:

يرى "مالك بن نبي" أنّ العالم الإسلامي يملك ثروة لكنّه لا يملك رأس مال، فيقصد "مالك بن نبي" بتوجيه رأس المال هو أنّه (لا يتصل بالكم، بل بالكيف، لتصبح كل قطعة مالية متحركة متنقلة توجد معها العمل والنشاط...) [4]، فمن أجل بناء حضارة يجب توجيه رأس المال وهذا

[1] المرجع نفسه: ص115.
[2] محمد بن سباع: فلسفة التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي كيفية بناء الحضارة من منظور إسلامي، آفاق فكرية، ص303.
[3] مصطفى النشار: مالك بن نبي من نقد الذات والآخر إلى بناء نظرية جديدة في البناء الحضاري، العقيدة، العدد الخامس عشر، ص217.
[4] حسن موسى محمد العقبي: مرجع سابق، ص 191.

التوجيه يقوم على كيفية تسيير الأموال الموجودة في المجتمع حتى وإن كانت قليلة، ولا يتطلب بالضرورة أموال هائلة، وبالتالي خلق رأس مال متحرك يخلق معه العمل والنشاط، وفي هذا الصدد يميّز "مالك بن نبي" بين "الثروة" و "رأس المال" فالثروة يتم معرفتها من خلال مكانة صاحبها مثل: فلاح، راعي... أو من خلال استخدامها من طرف صاحبها من أجل تلبية حاجاته، وبالتالي فهي تعد شيئا بدائيا بسيط يستخدمه الفرد لصالحه فنقول مثلا: ثروة فلان... في حين رأس المال منفصل عن صاحبه فلا نقول (رأس مال فلان) بل (رأس مال) وبالتالي فرأس المال (يتسع مجاله الاجتماعي بمقتضى حركته ونموّه في محيط أكبر من محيط الفرد، وأقصى من المقدار الذي تحدده حاجاته(الخاصة))[1].

[1] موسى لحرش: إستراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 129.

خاتمة الفصل الثاني:

بعد التعرف على أهم الأفكار التي تطرق لها "مالك بن نبي" عن الإنسان ومكانته في انجاز وتحقيق النهضة والتطوّر. نستنتج أنّ الإنسان هو ركيزة وعمود الحضارة عند "مالك بن نبي" فإذا تحرك الإنسان يتطوّر المجتمع ويتحرك التاريخ وتتحقق النهضة وإذا ركد الإنسان يركد المجتمع ويسكن وبالتالي البقاء في التخلف.

ومن أجل هذا عمل مالك بن نبي على التوضيح والتعريف بأهم معيقات الإنسان عن التحضر موضحا إياها في عدّة مجالات كالمعيقات الداخلية والمعيقات الخارجية وتنقسم هذه المعيقات بدورها إلى عدّة أقسام كما تطرقنا لها. هذا ما دفع بمالك بن نبي إلى تقديم عدّة توجيهات قيّمة تخص الإنسان في جميع مجالات حياته وخصصها في مجال الثقافة والعمل ورأس المال، وبما أنَ الثقافة مرتبطة بالإنسان وبمدى تقدمه نجد "مالك بن نبي" يعطي لهذا العنصر أهميَة بالغة فحلله تحليلا مميّزا إذ جعله عنصرا جوهريا ينطوي على عدّة عناصر كالتوجيه الأخلاقي والتوجيه الجمالي والمنطق العملي والتوجيه الفني. كما ركز على أهميّة العمل ورأس المال وذلك لدورهما البارز في تحضر الإنسان.

الفصل الثالث:

مهمة الإنسان

الفصل الثالث: مهمة الإنسان

تمهيد

المبحث الأول: في السياسة

1 مفهوم السياسة

2 الإنسان في عالم السياسة

المبحث الثاني: في الاقتصاد

1 مفهوم الاقتصاد

2 الإنسان في عالم الاقتصاد

المبحث الثالث: في التربية

1 مفهوم التربية

2 الإنسان في عالم التربية

خلاصة

تمهيد:

يعتبر "مالك بن نبي" الإنسان عنصرًا جوهريا وفعالاً في بناء الحضارة وتطورها، وهذه الأهميّة تعود لما لديه من إمكانيات وقدرات ومميزات في جميع الميادين والمجالات، سواءً في الميدان الاقتصادي أو الميدان السياسي أو الثقافي أو التربوي...الخ. وهذا ما سنتناوله في هذا الفصل ونتطرق له من خلال سعينا لمعرفة وجهة نظر "مالك بن نبي" أو الشروط التي اقترحها على الإنسان المسلم بصفة خاصة لكي يحقق النهضة والتطور والرفاهية

في جميع المجالات، فمهمة الإنسان عند "مالك بن نبي" تعتبر من أهم المسائل التي أخذت أهمية كبيرة في حياته، فنجده تكلم عن الدور الذي يجب أن يقوم به الإنسان

في ميادين حياته، وحديثه هذا لم ينطلق من فراغ بل كان انعكاسا فكريا للواقع الذي يعايشه.

المبحث الأول: في السياسة

1.1: مفهوم السياسة

أ. مفهوم السياسة عامة:

جاء في معجم لالاند أنّ السياسي هو:(رجل ماهر في تنظيم وتوجيه سلوكه من خلال علاقاته بالآخرين)[1].

أمّا السياسة فهي:(مصدر ساس، وهي تنظيم أمور الدولة، وتدبير شؤونها. وقد تكون شرعية، أو تكون مدنية. فإذا كانت شرعية كانت أحكامها مستمدة من الدين. وإذا كانت مدنيّة كانت قسما من الحكمة العملية، وهي الحكمة السياسية، أو علم السياسة)[2].

ونجد أنّ للسياسة أنواع منها: السياسة النظرية والسياسة العملية فهذه الأخيرة تهتم بدراسة كيفية تطبيق أو تجسيد الحكم في الدولة من أجل خدمة الصالح العام، أمّا السياسة النظرية فهي تدرس (الظواهر السياسية المتعلقة بأحوال الدول والحكومات، وهي مختلفة عن الظواهر الاقتصادية، والإدارية، والقضائية، والثقافية)[3]

ب. مفهوم السياسة عند مالك بن نبي:

يعرف "مالك بن نبي" السياسة بقوله:(هي العمل المنظم ل(جماعة) بكل ما تقتضيه وتفترضه كلمتا تنظيم وجماعة) [4] ويقصد بمصطلح جماعة في الميدان السياسي، مجموعة أفراد تربطهم روابط تاريخية وجغرافية، ولهم مصير واحد، وقد نطلق عليها لفظ (الأمّة). أمّا ما يخص مصطلح (التنظيم) فيرى "مالك بن نبي" أنّ التنظيم يعتبر شرطا غير كافيا مقارنة بدولة لم تتم فيها العادات الاجتماعية والثقافية التامة، أي أنّ مجتمعها لم تتكون فيه هذه العادات بعد، ولم

[1] أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأوّل، منشورات عويدات، ط2، 2001، بيروت، المادة: (سياسي)
[2] جميل صليبا: مرجع سابق، المادة: (السياسة)
[3] المرجع نفسه: المادة: (السياسة)
[4] مالك بن نبي: بين الرشاد والتيه، دار الفكر، ط1، 1978، دمشق، سورية، ص100.

يحقق معنى التنظيم الذي هو شرط في السياسة، ومن أجل ضبط مفهوم السياسة، يقدم "مالك بن نبي" ثلاث شروط أساسية لهذا التعريف وهي كالآتي: (أ. تصور العمل بتحديد السياسة بأكثر ما يمكن من الوضوح.

ب. تصور وسائل تحصين العمل من الإحباط، حتى لا يبق حبرا على ورق في نص الدستور أو ميثاقا أو مجرد لائحة.

ج. تصور جهاز يحفظ المواطن من إجحاف العمل، إذ تعدى عن جهل أو سوء نية من يقوم بتنفيذه)[1]

1.2: الإنسان في عالم السياسة

يرى "مالك بن نبي" أنّ العالم الإسلامي لم يستفد ولم يأخذ من سياسة المسلمين الأوائل أو من التراث الإسلامي، بل اعتمد على سياسة الغرب وأخذ منها وحاول أن يطبقها على واقعه المعاش، دون أن يمحص في هذه السياسة ومبادئها وإن كانت تتوافق مع الواقع الإسلامي أم لا، ف"مالك بن نبي" يدعوا إلى التطبيق والأخذ بالتراث الإسلامي الأصيل خاصة إذا تم استخدامه استخداما نزيها وبالتالي يصبح أفضل بكثير من سياسة الغرب، وهاته الأخيرة يطبقها العالم الإسلامي دون توافقها وتماشيها مع واقعه الاجتماعي والثقافي...، وبالتالي يعتبر "بن نبي" المسلمين في هذه الحالة مجرد تابعين للغرب. [2] يقول "مالك بن نبي": (إنّ هناك أولا علاقة مباشرة بين السياسة والحياة: فالأولى تخطيط للثانية، وما السياسة في جوهرها إلا مشروع لتنظيم التغيرات المتتابعة في ظروف الإنسان وأوضاع حياته، هذه العلاقة التي تحدد وضع الفرد باعتباره غاية كل سياسة، تعد الفرد أيضا عاملا لتحقيق تلك الغاية) [3] وبالتالي يعتبر "مالك بن نبي" الإنسان هو العنصر الأساسي في المشروع السياسي باعتباره (ذات وموضوع) في نفس

[1] بوراس يوسف: مرجع سابق، ص70.
[2] المرجع نفسه: ص69.
[3] مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص96.

الوقت و كأنه وجهان لعملة واحدة، فإذا تم اعتبار الإنسان (ذات) أي أنّه هو الذي يحقق الهدف من السياسة أما إذا تم اعتباره (موضوع) فهو الهدف الذي نسعى إليه ومنه الإنسان هو الأساس في السياسة. ومن أجل توضيح معنى السياسة أكثر نتطرق إلى ما يلي:

1/ السياسة والايديولوجيا:

يرى "مالك بن نبي" أنّ نجاح السياسة مرتبط بمدى علاقتها بالمجتمع، فكلما كانت العلاقة بين السياسة والمجتمع علاقة وطيدة كلما كانت ناجحة، وكلما تدهورت هذه العلاقة تفقد فعاليتها، ودورها في توجيه أفراد المجتمع. (والسياسة لا ترتبط بالمجتمع باعتبارها العمل الذي تقوم به الأمة، إلا بقدر ما تكون مطبوعة في عمل كل فرد منه، وهو ما يعني الإجماع، وهذا هو المدخل الذي تتسرب منه الايديولوجيا) [1] فمن خلال هذه الأخيرة تعمل السياسة على التأثير في الواقع المعاش، إذن الايديولوجيا هي (منظومة أفكار تحدد أهداف السياسة، وتحشد الطاقات الاجتماعية في عمل مشترك، وهي ترتبط بعاطفة الشعب وتثير حماسه بما يبعث فيه التوتر الدافع للعمل) [2] فالايديولوجيا تساهم في تحريك الطاقات الفردية الفكرية، وبالتالي تحقق العمل الجماعي، والذي هو عمل مشترك بين جميع الأفراد وله نفس المميزات.

كما يرى "مالك بن نبي" أنّ الديكتاتورية تنشأ نتيجة عدم التوافق بين عمل الفرد والدولة، وبالتالي تصبح الدولة عاجزة عن تحريك الطاقات الاجتماعية نحو هدف مشترك وتتدخل بذلك الفردية الأنانية التي تحدد العمل الفردي، ومن أجل تحقيق التوافق والانسجام بين عمل الدولة والفرد يرى "مالك بن نبي" أنّ السياسة يجب أن تبنى على عقيدة، فالسياسة التي تقوم على عقيدة لا تنهار للوهلة الأولى بل تقاوم كل العوائق وبالتالي يضحي الفرد بمصلحته من أجل عقيدته، وخير دليل على هذا الشعب الجزائري الذي حاول الاستعمار محو شخصيته، لكن ظل مقاوما بفضل الإسلام، والذي يعتبر الحافز الإيديولوجي للشعب الجزائري.

[1] بوراس يوسف: مرجع سابق، ص 71،72.
[2] المرجع نفسه: ص72.

2/ السياسة والأخلاق:

يعتبر "مالك بن نبي" الدين هو مصدر الأخلاق، وهذه الأخيرة تستمد مبادئها من الدين، إلاّ أنّ الأخلاق أصبحت تمثل الجانب السلبي في الحياة المعاصرة مثل: التخلف، الفقر...الخ. وذلك نتيجة للثورة العلمية وانتصار العلم في جميع المجالات، وبالتالي وضعت الأمة مصيرها في يد العلم وهذا ما أدى إلى حدوث قطيعة بين الأخلاق والسياسة، و(منذ تلك اللحظة أصبح العلم يسير على طريق، والأخلاق على طريق آخر. فالأول: زادت كل خطوة في كبريائه وشموخه، والثاني: زادت كل خطوة من انحناء رأسه) [1] ومنه الانفصال بين العلم والأخلاق، وكأنّ ذلك الشخص الذي يستيقظ متأخرا ويذهب بواسطة سيارته إلى العمل يمثل العلم، أمّا الشخص الآخر الذي يستيقظ مبكرا ويذهب سيرا على أقدامه إلى العمل يمثل الأخلاق. وهذا الأمر سرعان ما يتحول وينجر إلى الجانب الاقتصادي، فالعلم إذا ابتعد عن الأخلاق يترتب عنه حتما ابتعاد الاقتصاد عن الأخلاق (فالاقتصاد ليس سوى إسقاط البعد السياسي على نشاط إنساني معيّن، فبقدر ما تبقى السياسة مرتبطة بمبادئ أخلاقية معيّنة، يبقى الاقتصاد وفيا للمبادئ ذاتها) [2]

ويمكن ملاحظة هذا حسب "مالك بن نبي" في ذلك الصراع بين الطبقة البرجوازية والطبقة البروليتارية والذي هو صراع أساسه الأنانية والمصالح الشخصية، حيث هدفهما واحد وهو السلطة، لكن هذين الطبقتين إذا تعلق الأمر بالإنسان المستعمر تتوحد قواهما معا. [3] وبالتالي يرى "مالك بن نبي" (إذا كان العلم دون ضمير ما هو إلاّ خراب الروح فالسياسة من دون أخلاق ما هي إلاّ خراب الأمة)[4]

[1] مالك بن نبي: بين الرشاد والتيه، مصدر سابق، ص73،74.
[2] المصدر نفسه: ص75.
[3] بوراس يوسف: مرجع سابق، ص75.
[4] مالك بن نبي: بين الرشاد والتيه، مصدر سابق، ص80.

3/ السياسة والحضارة:

يرى "مالك بن نبي" أنّ هناك علاقة وطيدة بين الأوضاع السياسية والوضع الحضاري، فالسياسة هي تجسيد للوضع الحضاري على أرض الواقع فمثلا: المجتمع المتخلف حضاريا يستلزم عنه أوضاع سياسية متدهورة ومتردية تعكس التخلف الحضاري في جميع جوانبه (الاجتماعية، الفكرية...الخ)[1].

كما يؤكد "مالك بن نبي" أنّ مشكلة العالم الإسلامي هي مشكلة حضارة والإنسان المسلم المتخلف هو أساس مشكلة الحضارة، وهو يرد هذه المشكلة إلى نقطتين: الخلل الفكري، والخلل الاجتماعي.(فبالنسبة للخلل الفكري فهو يعود إلى الخلل في البناء الاجتماعي الذي يتكوّن من ثلاثة عوالم هي: عالم الأفكار، عالم الأشخاص، عالم الأشياء) [2] فبسيطرة عالم الأفكار على باقي العوالم تتحقق الحضارة، أمّا إذا حدث عكس ذلك وسيطر عالم الأشياء أو الأشخاص يحدث التخلف الحضاري. أمّا بالنسبة للخلل الاجتماعي فهو حسب "مالك بن نبي" يمس جانب السلوك، ويحدث هذا الخلل بسبب الابتعاد عن الدين وفقدانه لوظيفته باعتبار أنّ الدين هو المركب بين العناصر الثلاث: الإنسان والتراب والزمن.أمّا السبب الثاني فهو يتمثل في تفكك العلاقات الاجتماعية.

بالإضافة إلى ما سبق يتكلم "مالك بن نبي" عن ضرورة تطبيق أحكام الدين في الحياة السياسية، إذ لا شك في أنّ "بن نبي" يعتبر الدين مقوّم أساسي في بناء الحضارة (فهو قانون من قوانين الله عز وجل التي فُطرت عليها النفس الإنسانية...) [3]، ف"مالك بن نبي" اتخذ الإسلام كمرجع ومصدر له في نظريته السياسية، لذلك دعا إلى ضرورة أن تكون السياسة أخلاقية.

---

[1] بوراس يوسف: مرجع سابق، ص199.
[2] المرجع نفسه: ص202.
[3] بدران بن مسعود بن الحسن: الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري أنموذج مالك بن نبي، دار الكتب القطرية، ط1، 1999، قطر، ص96.

كما تكلم "مالك بن نبي" عن الإنسان وأهميته في عملية التغيير السياسي والاجتماعي، إذ يستخدم للدلالة على مصطلح الإنسان عدّة مفاهيم: إنسان الفطرة، الإنسان الطبيعي...، ويؤكد "مالك بن نبي" بضرورة عودة سيطرة الفكرة الدينية، لكي يقفز الإنسان المسلم من حالة اللا فعالية إلى حالة الفعالية، وبالتالي يساهم في بناء حضارة جديدة، ولذلك يرى "مالك بن نبي" أنّه يجب الاعتماد على خطوتين أساسيتين لكي يتم إعادة إحياء الإنسان وفعاليته، أوّل خطوة هي تنظيم تعليم القرآن ليس بإحفاظه للإنسان فقط بل بجعل القرآن يؤثر فيه، وثاني خطوة هي (تحديد رسالة المسلم الجديدة في العالم فبهذا يستطيع المسلم منذ البداية أن يحتفظ باستقلاله الأخلاقي، وهو ما يمكنه من التأثير في محيطه بشكل تدريجي،...) [1]، كما دعا إلى ضرورة توجيه الإنسان في مجال الثقافة والعمل ورأس المال كما تكلمنا عليها سابقا.

ومن بين المبادئ الدينية التي يجب أن يعتمد عليها الإنسان في مجال السياسة هي:

1) الثقة: إذ يجب أن تكون هناك علاقة ثقة بين الحاكم والشعب، والثقة مصدرها العقيدة الدينية التي تحث على التعاون بين الإنسان والدولة.

2) الطاعة: قال تعالى: {يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيع الرسول وأولي الأمر منكم. }

إلاّ أنّها يجب أن تكون منضبطة بأحكام الشرع حيث قال عمر ـ رضي الله عنه ـ حين أصبح خليفة المسلمين "من رأى منكم في اعوجاجا فليُقَوِمني".

3) مبدأ العدل: قال تعالى:{وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل} فيجب أن يطبق العدل بنزاهة على الجميع.

4) الشورى: أي تبادل الآراء في شؤون العامة، من أجل التوصل إلى الرأي الصائب، (فهي تعني التزام الحاكم برأي الأغلبية، وتعني أيضا حريّة الرأي السياسي وحرية الصحافة وكل وسائل

[1] بوراس يوسف: مرجع سابق، ص 216.

الإعلام، وتعني كذلك حرية المعارضة السياسية) [1]، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر". وقال تعالى:{والذين استجابوا لربّهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم}.سورة الشورى.

المبحث الثاني: في الاقتصاد

1.2: مفهوم الاقتصاد

أ. مفهوم الاقتصاد عامة:

(الاقتصاد مأخوذ من القصد، والقصد استقامة الطريق، والاقتصاد فيما له طرفان، إفراط وتفريط)[2]. ويعتمد الاقتصاد على مبدأ خاص به وهو اعتماد الطبيعة على الأقل من الجهد، والمادة، والمبادرة...الخ من أجل بلوغ الهدف الذي ترمي إليه.

أمّا (علم الاقتصاد السياسي هو العلم الذي يبحث في قوانين إنتاج الثروة، وتوزيعها، واستهلاكها)[3]، كما يتم تعريفه بأنّه (علم موضوعه معرفة الظواهر،(وإذا كانت طبيعة هذه الظواهر تتضمن قوانين، وهذا موضع جدال) تحديد القوانين التي تتعلق بتوزيع الثروات، وكذلك بإنتاجها واستهلاكها، بقدر ما تكون هذه الظواهر مرتبطة بظاهرة التوزيع)[4]

ب. مفهوم الاقتصاد عند مالك بن نبي:

أعطى "مالك بن نبي" للاقتصاد مكانة بارزة في تحقيق النهضة والرقي، حيث يرى أنّ الاقتصاد (ليس مسألة مواد أولية وخطط تنموية وحصص في السوق، وإنشاء مصانع فحسب، بل إنّ الاقتصاد وعي واستعداد فكري وسلوك)[5].

---

[1] المرجع نفسه: ص212.
[2] جميل صليبا: مرجع سابق، المادة: (الاقتصاد)
[3] المرجع نفسه: المادة: (الاقتصاد)
[4] موسوعة لالاند: مرجع سابق، المادة: (اقتصاد سياسي)
[5] شعيب شنوف: مرجع سابق، ص124.

كما يرى "بن نبي" أنّ الاقتصاد تابع للظاهرة الإنسانية وهو جزء لا يتجزأ منها، ولهذا سعى "مالك بن نبي" جاهدا لتحقيق التوازن الاقتصادي، ومن أجل تحقيق هذا الأخير يقول "بن نبي" بضرورة تحقيق التوازن بين الجانب الروحي والجانب المادي ففي الجانب النفسي مثلا يرى "بن نبي" أنّ التخلف هو نتيجة عوامل نفسية موروثة من الاستعمار ومن أجل ذلك دعا إلى إعادة تكوين نفسية الفرد وشخصيته، لكي يعي بأنّه داخل حركة اقتصادية اجتماعية، ومن خلال عملية التخطيط على المستوى الاجتماعي يعمل الفرد على تحقيق التوازن بين الحقوق والواجبات.

أمّا على الجانب الاجتماعي فهو يدعو إلى استغلال جميع الطاقات من أجل التنمية.

2.2: الإنسان في عالم الاقتصاد

يرى "مالك بن نبي" أنّ الإنسان خلال فترة الاستعمار لم يكن لديه أي وعي اقتصادي حيث كان الإنسان في تلك الفترة مجرد خادما وعاملا لدى المستعمر، لم تكن له أي حقوق. لكن بعد الاستقلال السياسي حاول المثقفون في مجال الاقتصاد إحياء الوعي الاقتصادي معتمدين على أسس النظام الرأسمالي والاشتراكي، دون التفكير في أنّ هذين النظامين بعيدان كل البعد عن مجتمعنا فهي أنظمة خاصة بالغرب. وبالتالي يرى "مالك بن نبي" أنّ الحركة الاقتصادية مرتبطة في جوهرها بالمجتمع أي من أجل إنجاح أي نظام اقتصادي يجب الإلمام بجميع ظروف المجتمع، وليس بمجرد إتباع نظرية قد نجحت في مكان آخر.[1]

كما تكلم "مالك بن نبي" عن فكرة الحتمية الاقتصادية التي بقيت لصيقة بالشعوب المتخلفة، حيث يقول: (فمن الممكن أن نتحدث في هذه الحدود عن حتمية اقتصادية تضغط بثقل قضائها على مصير الشعوب الإسلامية، ولكن هذا القضاء لا دخل فيه للميتافيزيقا، وهو ليس قضاءً مطلقا نهائيا، بل هو عارض طارئ من أعراض التاريخ أو هو بمثابة الزمن الميت في النمو

[1] المرجع نفسه: ص14، 15.

المادي لتلك الشعوب، يتفق مع تلك الأوضاع الشخصية الموروثة التي تتنافى مع الأوضاع الاقتصادية التي حددتها وفرضتها الحضارة الغربية) [1] فبالرغم من التحرر السياسي إلّا أنّ هذه الشعوب لم تتحرر منها، وبقيت معها بعض المشاكل التي تمس الجانب الاقتصادي والثقافي والتي هي ناتجة عن الاختلاف بين ثقافة الأنظمة الغالبة والأنظمة المغلوبة.

يرى "مالك بن نبي" أنّ المشكلة هي مشكلة نفسية بالدرجة الأولى جعلت من الإنسان المتخلف تابع في أفكاره إلى الغرب بالرغم من تحرره فمثلا: الشعوب الموجودة على محور طنجة ـ جاكرتا، يتميز الإنسان في هذه الشعوب بأنه مقلد لأفكار وعادات غيره ويتبع أوضاع اقتصادية مفروضة عليه، دون أن يسعى لإيجاد سبيل للتخلص من هذه التبعية والحتمية. [2]

إنّ الاقتصاد في الغرب صار أداة جوهرية تسيّر الحياة الاجتماعية وتنظمها في حين أنّ الشرق صار عكس ذلك، فالغرب أثناء احتياجاتهم وضعوا النظرية الاشتراكية والرأسمالية في حين أنّ (النظرية الوحيدة التي تناولت تأثير العوامل الاقتصادية في التاريخ وهي نظرية ابن خلدون قد ظلت حروفا ميتة في الثقافة الإسلامية، حتى نهاية القرن الأخير)[3].

يرى "مالك بن نبي" أنّ معظم جهود الدول المتخلفة التي قامت بها لكي تخرج من دائرة التخلف قد فشلت رغم اعتمادها على خبراء اقتصاديين، وفي نفس الوقت الذي فشل فيه تجسيد النظريات الغربية في الدول المتخلفة، نجد أنّ ألمانيا بعد تدمر اقتصادها من خلال الحرب العالمية في عشر سنوات أعادت بناءه، فحسب "مالك بن نبي" لو تأمل الاقتصاديون وتعمقوا في التجربة الألمانية لاستنتجوا درسا اقتصاديا واستفادوا منه. مع لفت الانتباه إلى فشل التجربة الألمانية خارج ألمانيا وبالتالي هناك معادلة بين الظروف الاقتصادية والظروف النفسية في الوسط الاجتماعي.

[1] مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر، ط3، 1987، دمشق، سورية، ص15.
[2] شعيب شنوف: مرجع سابق، ص16.
[3] مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، مصدر سابق، ص16.

كما يرى "بن نبي" أنّ معالجة المشكلة الاقتصادية لدى الشعوب المتخلفة لن يكون له أي نفع إذا لم يتم معالجتها بدأً من عناصرها النفسية. فهذه الشعوب تفتقد للاستعداد النفسي والعقلي الذي يطوّر اقتصادها.

وبهذا يؤكد "مالك بن نبي" أنّ الإنسان استسلم للعادات والتقاليد وبقيّ مقلدا لأفكار غيره، وباهتمامه بالاختيار بين المناهج الموجودة ضيّق مجال اجتهاده على نفسه، حيث وجد نفسه أمام مشكلات وجد لها حلول على حساب مبادئه. فإذا اتجه إلى الاشتراكية وجد نفسه أمام صراع بين المبادئ الأخلاقية والمادية بالإضافة إلى مشكلة تحديد الملكية، إضافة إلى توقعه بانهيار الشيوعية، أمّا إذا اتجه إلى الرأسمالية وجد فيها الربا الناتجة عن عدم الترابط بين القيّم الاقتصادية والقيّم الأخلاقية. فمن أجل التطور الاقتصادي تقوم الرأسمالية بجمع رأس المال واستثماره وذلك بالاعتماد على الفوائد من البنوك وهذا ما يختلف مع القيّم الأخلاقية. وهنا يسعى الإنسان إلى التخلص من مشكلة الفوائد وكأنّه يحاول فصل الجسم عن الروح ويأمل بقاء الجسم حيّ، ففي نظر الإنسان المسلم أنّ الاستثمار لا يمكن دون المال، وانطلاقا من هذه الفكرة تظهر المشاكل الاقتصادية وبالتالي معيقات التنمية مصدرها موقف الإنسان من الأشياء وليس من طبيعة الشيء في حد ذاته.[1] وبالتالي فقصور فكر الإنسان هو سبب مشاكله، وعليه دفع عجلته من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية، ومنه بناء اقتصاد جديد وذلك من خلال تغيير فكر الإنسان وتغيير نفسه خصوصا عند إدراكه بأنّه هو أساس الحضارة. ومن أجل تحقيق العالم المتخلف للاستقلال الاقتصادي يجب اعتماده على سلسلة من الأفكار من بينها أنّ (الإنسان هو محور الحضارة. وعليه فأي تفكير في مشكلة الإنسان هو في الأساس تفكير في مشكلة الحضارة. وأي تفكير في مشكلة الحضارة هو في الأساس تفكير في مشكلة الثقافة، وأي تفكير في مشكلة

[1] المرجع نفسه: ص 38، 39.

الثقافة هو في الأساس تفكير في مشكلة التربية، وأي تفكير في مشكلة التربية هو في الأساس تفكير في مشكلة المنهج، وأي فراغ لا تملاه أفكارنا ينتظر أفكار معادية لنا)[1]

ومن أجل تحقيق تنمية اقتصادية يدعو "مالك بن نبي" إلى الاعتماد على الاستثمار الاجتماعي حيث يعطي توضيحا بأمريكا فيتساءل: ماذا لو دمر زلزالا مدينة نيويورك؟ هل تستطيع أمريكا إعادة بناءها؟ وكيف هو السبيل لذلك؟ ويجيب في نفس الوقت بأنّ كل الإجابات ستكون بنعم، سيتم بناءها من جديد، لكن كيف استطاعت إعادة إحياءها هل بالأموال فقط؟ ثم يصيغ السؤال بطريقة أخرى: هل بإمكان أمريكا شراء مدينة نيويورك بكل ما فيها من صناعة ومنشآت لتعوض ما هدمه الزلزال؟ وهنا يجيب أنه بالرغم من أموال أمريكا إلاّ أنّها لا تستطيع شراء نيويورك بجميع محتوياتها من مباني وشركات...، بينما بإمكانها الاجتماعي تستطيع بناء أفضل منها. كما أنّ ألمانيا بعد سنة 1945 كانت في وضع مزري، وإن كان المال هو الأداة لإعادة بناء وطن متطور فإنّ ألمانيا في هذه الحالة لن تعود، وإذا بها عادت بكل قوة وهاهي اليوم تتميّز بمصانعها الضخمة ونشاطها الاقتصادي المتطور.

وانطلاقا من هاتين التجربتين يبيّن لنا "مالك بن نبي" (أنّ الإمكان الاجتماعي هو الذي يقرر مصير الشعوب والمجتمعات والدول) [2] فالاستثمار الاجتماعي حسب "مالك بن نبي" يقوم على مبدأ كل الأيادي يجب أن تعمل وكل الأفواه يجب أن تأكل.

ومن أجل النهوض من التخلف الاقتصادي وإحداث عملية التغيير يركز "مالك بن نبي" على الإنسان لكونه عنصر أساسي في عملية البناء الاقتصادي، ويرى أنّ الإنسان يتكوّن من جانبين: جانب بيولوجي وجانب اجتماعي وهذا الأخير هو الذي (يحدد فعاليته ويحد وضعيته من السكون إلى الحركة حتى يكون له دوره المهم في العملية الاقتصادية، أي تحويل الفرد من

[1] المرجع نفسه: ص 45.
[2] مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، مصدر سابق، ص74.

المجتمع البدائي إلى شخص المجتمع المتقدم) [1] ويتم ذلك من خلال إعداد الفرد للقيام بدوره بواسطة تكييف المحيط الاجتماعي له، كما أكد على أهمية التراب من الناحية الاقتصادية وذلك إذا ما استغل من أجل تحقيق التنمية في خدمة المصلحة العامة، وأهميته تتمثل في عملية تحويله من مادة خام إلى مادة مصنعة .

أمّا الزمن فأهميته تتجلى في ساعات العمل وكيفية استخدام الوقت لخدمة الصالح العام مثل: ألمانيا التي فرضت على شعبها العمل يوميا لمدة ساعتين، يقوم بها الفرد بالمجان زيادة على عمله من أجل الخدمة العامة وبالتالي حققت التطور والرفاهية بعد الحرب العالمية الثانية بواسطة: الإنسان والتراب والزمن.[2]

المبحث الثالث: في التربية

1.3: مفهوم التربية

أ. مفهوم التربية عامة:

تعرف التربية بأنّها: (تنمية الوظائف الجسمية والعقلية والخلقية كي تبلغ كمالها عن طريق التدريب والتثقيف)[3]، كما تم تعريفها بأنّها (علم يبحث في أصول هذه التنمية ومناهجها وعواملها الأساسية وأهدافها الكبرى) [4] وهذا التعريف تابع للتعريف الأول ومرتبط به. إذن التربية ظاهرة اجتماعية، يحدث لها ما يحدث في الظواهر الاجتماعية في تطورها ونموها.

[1] شعيب شنوف: مرجع سابق، ص182.
[2] المرجع نفسه: ص182، 183.
[3] إبراهيم مدكور: مرجع سابق، المادة: (تربية)
[4] المرجع نفسه: المادة: (تربية)

التربية عند المحدثون هي: (تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئا فشيئا، نقول: ربّيت الولد، إذا قوَّيت ملكاته، ونمَّيت قدراته، وهذّبت سلوكه، حتى يصبح صالحا للحياة في بيئة معينة)[1].

للتربية جانبان: الجانب الأول يتمثل في قيام المربي بتربية الطفل، والجانب الثاني هو تربية الطفل لنفسه بنفسه، هذه الأخيرة تتم من خلال تعلم الطفل من نشاطه الذي يقوم به، أمّا الأولى فتتم من خلال بيئة معيّنة وهي عمل توجيهي.

2.3: الإنسان في عالم التربية

لم يعط "مالك بن نبي" للتربية تعريفا ومفهوما محددا مثلما نجده عند بعض الفلاسفة والمفكرين، إلّا أنّه جعلها مرتبطة بالثقافة، وبالتالي فالتربية عند "مالك بن نبي" هي: (عملية تثقيف متواصلة وتتمثل عملية التثقيف هذه في تلك العملية النفسية التي تقوم في أولى مهامها بتركيب عناصر ثقافة المجتمع في بنية شخصية الفرد أي في بنية إنسان ما بعد الحضارة)[2].

1/ التربية كعملية: (التربية هي عملية تعليم وتعلم لأنماط متوقعة من السلوك الإنساني)[3]

أي أنّ هذه التربية مجال اهتمامها هو كيفية تطوير وتنمية سلوك الإنسان لكي تجعل منه مواطن صالح في المجتمع.

2/ التربية كتنشئة اجتماعية: يرى "مالك بن نبي" أنّ التربية في جوهرها هي عملية اجتماعية خالصة تبدأ مع ولادة الإنسان وتنتهي بوفاته، فالتربية مستمرة مع الإنسان تعلمه من تجارب الحياة، أمّا التنشئة الاجتماعية فيعتبرها تنشئة تقوم على تحويل الإنسان البيولوجي إلى إنسان اجتماعي فعال في المجتمع، له وظيفة ومكانة اجتماعية مرموقة، ومن هنا يبدأ الإنسان

[1] جميل صليبا: مرجع سابق، المادة: (تربية)
[2] العابد ميهوب: مرجع سابق، ص197.
[3] المرجع نفسه: ص197.

بممارسة أدوار اجتماعية تتطلبها مواقع اجتماعية معيّنة وبالتالي يقوم المجتمع بتشكيل الإنسان على حسب أهدافه، وهذا ما عبر عنه الرسول ـ صلى الله

عليه وسلم ـ في قوله: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[1].

دعا "مالك بن نبي" إلى بناء مشروع تربوي إسلامي يقوم على التربية الإسلامية حيث تبرز هذه التربية مميّزات الشخصية المسلمة، وتعتمد على القيّم والمبادئ الإسلامية في جميع مجالات الحياة. والتربية هي (عملية تبدأ ببداية الحياة ولا تنتهي إلا بانتهائها وهي عمل يقع تحت تأثيرها كل إنسان)[2]، ومن أجل بناء مشروع تربوي إسلامي معاصر يجب الإحاطة بالإنسان ومعرفته في جميع جوانبه أي بناء صورة لذلك الإنسان المعاصر الذي سيخضع للتربية الإسلامية، وذلك بجعل علاقته مع ربه علاقة عبادة، ومع الإنسان علاقة تقوم على العدل،...

كما تناول مصطلح "التربية الاجتماعية" التي تسعى إلى تغيير الإنسان وتعليمه كيف يعيش في المجتمع مع الأفراد وكيف يكوّن علاقات اجتماعية هادفة، فالتربية (هي التوجيه العام للثقافة التي يحملها هذا الإنسان الذي يخول له استكمال الشروط اللازمة لتشييد حضارة تطابق إطاره الخاص كمخلوق مكرم من الله ومأمور بالعبادة وإعمار الأرض...)[3]

يرى "مالك بن نبي" أنّ الإنسان هو جوهر التربية الاجتماعية حيث أنّ المجتمع لا يمكنه أن يتغير إلا إذا بدأ بتغيير الإنسان وتربيته تربية دينية تقوم على مبادئ وقيم أخلاقية وثقافية نابعة من أصالة المجتمع ومبادئه، وبالتالي تقوم التربية بتغيير الفرد وتحويله من فرد غريزي إلى إنسان مكيّف ضمن المجتمع، ومنه كلما تم بناء وتربية الإنسان يبنى المجتمع، وكلما أُهمل يهدم المجتمع ويتفكك.[4]

---

[1] المرجع نفسه: ص206.
[2] مولاي الخليفة لمشيشي: مالك بن نبي دراسة استقرائية مقارنة معالم المنهج في تأصيل العلوم الإنسانية لمشروع مشكلات الحضارة، دار النايا، ط1، 2012، دمشق، سورية، ص136.
[3] المرجع نفسه: ص141
[4] العابد ميهوب: مرجع سابق، ص276.

إذن التربية الاجتماعية (لا تعني شيئا إذا لم تكن وسيلة فعالة لتغيير الإنسان وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه، كيف يكوّن معهم مجموعة القوى التي تغيّر شرائط الوجود نحو الأحسن) [1]، كما أنّ التربية عند "جون ديوي" هي عملية اشتراك الإنسان مع أفراد المجتمع اشتراكا واعيا (ومن ثم لا يمكن التأكد من أي إصلاح اجتماعي إلا إذا وجهنا نشاط الفرد وتفكيره على أساس أنه سيخرج ليشترك مع المجتمع في حياته وإنتاجه)[2].

يضيف "بن نبي" أنّ التربية الاجتماعية قواعدها مأخوذة من علم التاريخ، وهذه القواعد هي أصل التاريخ، ولا تتغير بتغير الزمن حتى وإن تغيرت المجتمعات. وهذا ما عبر عنه سيد الخلق محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قوله: {لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها} أي أنّ (نهضة مجتمع ما تتم في الظروف العامة نفسها التي تم فيها ميلاده، كذلك يخضع بناؤه وإعادة هذا البناء للقانون نفسه)[3].

وبالتالي يقول "بن نبي": (لكي يمكن بناء نظام تربوي اجتماعي ينبغي أن تكون لدينا أفكار جد واضحة، عن العلاقات والانعكاسات التي تنظم استخدام الطاقة الحيوية، في مستوى الفرد، وفي مستوى المجتمع)[4] .

كما يؤكد "مالك بن نبي" على أنّ التربية الاجتماعية يجب أن تكون مرتبطة بالفكرة الدينية، حيث أنّ الدين يعمل على تغيير المجتمع، من خلال ضبط نفسية الفرد وغرائزه كما يطلق عليها "فرويد" في علم النفس بعملية الكبت. أي أنّ الدين يعمل هنا على ضبط غرائز الإنسان وشهواته من خلال قواعد معينة، وضبطه لهذه الغرائز لا يعني إلغاؤها والقضاء عليها، بل تنظيمها وبالتالي (يتحرر الفرد جزئيا من قانون الطبيعة المفطور في جسده، ويخضع وجوده في كليته

[1] مولاي الخليفة لمشيشي: مرجع سابق، ص141.
[2] المرجع نفسه: ص143.
[3] مالك بن نبي: ميلاد المجتمع، مصدر سابق، ص76.
[4] المصدر نفسه: ص78.

إلى المقتضيات الروحية التي طبعتها الفكرة الدينية في نفسه، بحيث يمارس حياته في هذه الحالة الجديدة حسب قانون الروح)[1].

ومنه التربية الاجتماعية عند "مالك بن نبي" هي تربية أساسها القيم الأخلاقية والثقافية التي مصدرها أصالة المجتمع وتاريخه.

[1] العابد ميهوب: مرجع سابق، ص279.

خاتمة الفصل الثالث:

نستنتج مما سبق أنّ "مالك بن نبي" تطرق إلى أهم العناصر التي إذا اتبعها الإنسان في مجالات حياته حقق التطور والنهضة، فمثلا في المجال السياسي نجد "بن نبي" يدعو الإنسان إلى التمسك بتعاليم الدين الحنيف لكي يتم الحصول على دولة إسلامية قوية عادلة لا تقوم على الظلم، مثلما كانت في عهد عمر بن الخطاب ـ رضيّ الله عنه ـ

أمّا في المجال الاقتصادي ف"مالك بن نبي" يقدم اقتراحا مفاده محاولة إنشاء نظام اقتصادي ينطبق وفق الظروف الاجتماعية للإنسان وبالتالي يتم التخلص من التبعية الاقتصادية، أمّا في مجال التربية فهو يجعل الدين كعادته الركن الأساسي والجوهري في تحقيق التربية.

خـــاتـمـة

الحمد لله الذي أعانني على إتمام عملي هذا، وأرجو أن يكون هذا العمل وفق المنهج العلمي الصحيح، وبعد أن تمحورت إشكالية هذا البحث حول مفهوم الإنسان في الفكر الحضاري عند مالك بن نبي، والتي تطلّبت معالجتها تضافر المنهج التحليلي والوصفي، نستخلص أنّ مالك بن نبي شخصية جزائرية عظيمة أبدع فكرا خاصا به انطلاقا من الواقع الذي عاشه ومن الظروف التي مرّ بها خلال نشأته، إذ نجد أنّ هذا الرجل العظيم أنتج فكراً ميّزه عن غيره من المفكرين، ألا وهو الفكر الحضاري، الذي يعتبر الحضارة جوهر وعمود هذا الإبداع كما نجد معظم كتبه تتمحور حول عنوان مشكلات الحضارة.

إضافة إلى ذلك نجد أنّ مالك بن نبي من خلال مؤلفاته هذه ركز على فكرة الدين وجعله أساس ومنشأ وعامل من عوامل سقوط أو قيام الحضارة، فالدين حسبه هو الذي يربط بين مركبات الحضارة الثلاث: الإنسان والتراب والزمن.

كان بن نبي ينطلق في رؤيته من منطلقات الإسلام وأحكامه وتوجيهاته للفكر والسلوك، كما دعا إلى تغيير النفس وتهذيبها بما يوافق الدين الإسلامي.

كما أنّ الحضارة عند مالك بن نبي هي: حضور الإسلام معرفيا وروحيا وسلوكيا وعمرانيا في الكون، إذن هي سعادة الإنسانية في الحياة والنجاة في الآخرة من ضيق هذه الدنيا ونيل رضوان الله ـ عزّ وجلّ ـ .

يعتبر مالك بن نبي الإنسان محور وأساس عملية التغيير وهو الفاعل الأساسي في هذه العملية، ويتم التغيير من خلال النفس الإنسانية فكل إنسان مسئول على أن يغيّر نفسه حتى يتم تغيير المجتمع وهكذا وبالتالي حدوث الرفاهية والتطور، يقول تعالى: "إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم" (الرعد:11).

كما قام مالك بن نبي بتوجيه الإنسان المتخلف الذي طغت عليه سلبياته أو ما يطلق عليها بالأمراض وهذه الأمراض متنوعة ومتفرعة مثل: الشلل الأخلاقي، الميل إلى التكديس،...الخ.

وهذا التوجيه كان من خلال ثلاث نواحي تتمثل في توجيه الثقافة وتوجيه العمل وتوجيه رأس المال، حيث حاول من خلال هذه التوجيهات اقتراح عدة حلول فعالة إن تمسك وقام بها الإنسان يتحول من إنسان متخلف إلى إنسان متحضر فعال.

أراد هذا المفكر إصلاح الأمّة الإسلامية وتغيير أوضاعها من الضعف إلى القوة، لذلك أكد على ضرورة أن يتحلى الإنسان المسلم بثقافة تمكنه من تفعيل الحوار الحضاري الإنساني، بإعتبار أنّ الثقافة عنصرا جوهريا في النهضة الحضارية.

بالإضافة إلى هذا نجد مالك بن نبي يؤكد على دور الإنسان وفعاليته في الزمان والمكان، وفي جميع المجالات سواءً المجال الاقتصادي أو المجال الاجتماعي، الأخلاقي، السياسي، النفسي، التربوي...الخ. وبما أنّ الإنسان هو محور الحضارة نجد بن نبي يؤكد على فكرة الفعالية التي من خلالها يقضي الإنسان على روح التخلف والسلبية والانحطاط.

إنّ فكر مالك بن نبي فكر عميق ومتأصل فهو يمثل ثقافة مزدوجة إسلامية وغربية، إذ استطاع استقراء الواقع الإسلامي، ووضح المعوقات التي تحيط به، ومن ثم طرح رؤيته التي تُعتَبر كحل لمشكلة الكمون أو التخلف الذي يعاني منه العالم الإسلامي، أو منهجه للنهوض أو الإقلاع الحضاري.

كما تعمق في توضيح طبيعة العلاقة التي يجب أن تكون بين الإنسان ومجتمعه وما يجب على الإنسان تقديمه للمجتمع حتى يساهم في البناء الحضاري لمجتمعه، إضافة إلى تأكيده على أهميّة البعد الديني ودوره في توطيد العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، وبالتالي مدى مساهمة الدين في بناء الحضارة.

وانطلاقا من هذا يمكننا القول بأنّ المفكر الإسلامي مالك بن نبي سعى بكل جهده لإعادة الحضارة الإسلامية إلى أوج قوتها من خلال إحيائها ماديا وروحيا، وبالاعتماد على الفكرة الدينية التي مصدرها الكتاب والسنة، لذلك نجد بن نبي يؤكد على أنّ الحضارة مفهوم شمولي تتم من

خلالها مشاركة جميع الأفراد الذين يجسدونها في جميع جوانب الحياة كالعلاقات الاجتماعية، الاقتصادية والسياسة، ومجالات التخطيط، العمران

ويرى أنّ الحضارة تولد من رحم الأمّة وأصالتها وقيّمها وخصوصيتها الثقافية، ولا يجب أن تستورد وتؤخذ من الخارج إلا بتصفيتها وتحليلها، وإخضاعها لهذه الأصالة والقيّم الخصوصية، فمشكلة التحضر هي المشكلة الوحيدة الجامعة لكل الأزمات التي نعاني منها سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا...الخ.

ومنه يركز مالك بن نبي في جل كتاباته على الإنسان وأهميته وضرورة تفعيله فهو الوسيلة التي يتم من خلالها الانتقال من أجواء التبعية والتخلف إلى أجواء التطور والرفاهية، لذلك سعا جاهدا لكي يعيد الإنسان مثلما كان في زمن قبل الموحدين أي "إنسان ما قبل الموحدين".

كما يرى أنّ قوة وضعف الشعوب والأمم تقاس بقوة فكرها وضعفها، والواقع الذي نراه الآن ما هو إلا ترجمة لفكر معيّن أصبح يشكل واقعا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا...الخ.

وبالتالي التغيير يكون باستثمار الإنسان أي العقول والسواعد واستثمار التراب والوقت، وبالتخلص من الأفكار الميّتة والقاتلة.

ومنه أفكار مالك بن نبي لا تزال حيّة وفعّالة للتطور والنهضة وذلك لأنّه شخّص الداء وأوجد الدواء، فهو لم تذهب أفكاره بذهابه مثلما نجده عند بعض المفكرين الذين عالجوا مشكلة معيّنة في زمن محدود.

وانطلاقا مما تطرقنا إليه لا يسعنا إلاّ القول أنّ مالك بن نبي مفكر لم يُقيِّد فكره لا الزمان ولا المكان، فبالرغم من مرور فترة كبيرة من الزمن على أفكاره إلاّ أنها لازالت تتسم بالفعالية والصلاحية لتكون برنامجا تربويا وتوعويا يستحق تطبيقه لمعالجة المخاطر التي أصيبت بها الحضارة العربية الإسلامية.

وتتمثل أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي هذا في:

ربط مالك بن نبي الحضارة بثلاث مكوّنات أساسية متمثلة في: الإنسان والتراب والزمن مع وجود الفكرة الدينية كرابط بين هذه العناصر

أنّ للإنسان أهميّة بالغة عند مالك بن نبي وتتجسد أهميّته في فعاليته إذ يعتبر الإنسان الفعّال هو محرك التاريخ

قيمة الوقت والتراب مرتبط بقيمة الأمّة فحينما تكون الأمّة مرتفعة، يكون الوقت غالي القيمة والأهمية وحينما تكون الأمّة متخلّفة يكون الوقت قليل الأهميّة

أهميّة الأمّة ليست بوسائلها وآلياتها بل بأفكارها

التغيير عند مالك بن نبي يبدأ من النفس وليس بالفوضى امتثالا لقوله تعالى: "إنّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقوْمٍ حتَّى يُغيِّروا ما بِأَنْفُسِهِم"

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر باللغة العربية

1. مالك بن نبي: القضايا الكبرى ، دار الفكر،ط1، 1991، دمشق ، سورية.

2. مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر، ط3، 1987، دمشق، سورية.

3. مالك بن نبي: بين الرشاد و التيه، دار الفكر، ط1، 1978، دمشق، سورية.

4. مالك بن نبي: تأملات، دار الفكر، ط1، 1979، دمشق، سورية.

5. مالك بن نبي: شروط النهضة، (تر) عبد الصبور شاهين، عمر كامل مسقاوي، دار الفكر ، دمشق، سورية.

6. مالك بن نبي: فكرة الإفريقية الآسيوية، (تر) عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط3، 1992، الجزائر.

7. مالك بن نبي: فكرة كومنويلث إسلامي، (تر) الطيب الشريف، دار الفكر، ط1، 1960، دمشق، سورية.

8. مالك بن نبي: لبيك، (تر) زيدان خوليف، دار الفكر،ط1، 2009، دمشق.

9. مالك بن نبي: مجالس دمشق، دار الفكر، ط1، 2005، دمشق، سورية.

10. مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، (تر) عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط4، 1984، دمشق، سورية.

11. مالك بن نبي: ميلاد المجتمع، (تر) عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط3، 1986، دمشق، سورية.

12. مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، (تر) عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط1، 1986، دمشق، سورية.

قائمة المراجع باللغة العربية

1. السيد ولد أباه: أعلام الفكر العربي، الشبكة العربية للأبحاث و النشر، ط1، 2010، بيروت ، لبنان.

2. الطاهر سعود: التخلف و التنمية في فكر مالك بن نبي، دار الهادي، ط1، 2006، بيروت ، لبنان.

3. بدران بن مسعود بن حسن: الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري أنموذج مالك بن نبي، دار الكتب القطرية، ط1، 1999، قطر.

4. بشير ضيف الله: فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2005، الجزائر

5. بوراس يوسف: الفكر السياسي عند مالك بن نبي، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، 2013، الجزائر.

6. جيلالي بوبكر: البناء الحضاري عند مالك بن نبي، دار المعرفة، 2010، باب الواد، الجزائر.

7. شعيب شنوف: الحركية الاقتصادية في الدول النامية بين عالمية مالك بن نبي و العولمة الغربية، دار المحمدية العامة، 2003، الجزائر.

8. عبد الله بن حمد العويسي: مالك بن نبي حياته و فكره، الشبكة العربية للأبحاث و النشر، ط1، 2012، بيروت، لبنان.

9. غازي توبة: الفكر الإسلامي المعاصر دراسة و تقييم، ط1، 1969، (دب).

10. فوزية بريون: مالك بن نبي عصره و حياته ونظريته في الحضارة، دار الفكر، ط1، 2010، دمشق.

11. محمد العبدة: مالك بن نبي مفكر اجتماعي و رائد إصلاحي، دار القلم، ط1، 2006، دمشق، بيروت.

12. محمد شاويش: مالك بن نبي والوضع الراهن، دار الفكر، ط1، 2007.

13. موسى لحرش: إستراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي، (دط) ، 2006، عنابة ، الجزائر.

14. مولاي الخليفة لمشيشي: مالك بن نبي دراسة استقرائية مقارنة، دار النايا، ط1، 2012، سورية ، دمشق.

قائمة المعاجم والموسوعات باللغة العربية

1. إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، (دط)، 1983، القاهرة.

2. أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأوّل، منشورات عويدات، ط2، 2001، بيروت.

3. جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، 1982، لبنان.

قائمة المجلات والدوريات باللغة العربية

1. حورية بكوش: تبسيط مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي دراسة في مفهوم الثقافة وعناصرها، مجلة رفوف، العدد العاشر
2. زوهير عبد السلام: مشكلة الحضارة في فكر مالك بن نبي، مجلة الحقيقة، العدد18
3. صباح عبيد: مقاربة حول إشكالية الاستعمار وقابلية الاستعمار بين التحليل التاريخي وفكر مالك بن نبي، مجلة الفكر المتوسطي للبحوث والدراسات في حوار الديانات والحضارات، العدد02
4. فاطمة بور: صراع الحضارات في فكر مالك بن نبي، مجلة آفاق علمية، دورية نصف سنوية محكمة تصدر عن المركز الجامعي لتمنغاست، الجزائر
5. محمد بن سباع: فلسفة التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي كيفية بناء الحضارة من منظور إسلامي، آفاق فكرية
6. محمد جلوب فرحان: الخطاب النهضوي في فكر مالك بن نبي، سلسلة الدراسات حول مالك بن نبي، 2014، (دب)
7. مراد بن سعيد: خديجة زياني، التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، العدد الثاني عشر
8. مصطفى النشار: مالك بن نبي من نقد الذات والآخر إلى بناء نظرية جديدة في البناء الحضاري، العقيدة، العدد الخامس عشر
9. موسى لحرش: التوجيه الثقافي كبعد أساسي في عملية البناء الحضاري للمجتمع الإسلامي من منظور مالك بن نبي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العع14

قائمة الدراسات السابقة

1. أرفيس علي: إشكالية النهضة بين مالك بن نبي وسيد قطب، رسالة لنيل شهادة: الماجستير في فلسفة الحضارة، تحت إشراف: معيرش موسى، قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة
2. العابد ميهوب: الفكر التربوي عند مالك بن نبي، رسالة لنيل شهادة: دكتوراه العلوم في علم الاجتماع، تحت إشراف: نور الدين زمام، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014
3. حسن موسى محمد العقبي: مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، رسالة لنيل شهادة: الماجستير، تحت إشراف: صالح حسين الرقب، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، 2005
4. لويزة لعميري: نظرية الثقافة عند مالك بن نبي ـ دراسة تحليلية نقدية ـ رسالة لنيل شهادة: ماجستير، تحت إشراف: خالد عيقون، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو،2014

الملخّص

الملخص:

الكلمات المفتاحية:

الإنسان، الإسلام، التاريخ، التراب، الزمن، الحضارة، الثقافة.

اهتم مالك بن نبي بمشكلات الواقع فرأى أنّ جوهر المشكلة يكمن في الوضع الذي يوجد عليه الإنسان، أي أنّ الإنسان هو محرك التاريخ وهو المتحكم في حركته، لذلك ركز على فكرة الفاعلية الإنسانية في إحداث التغيير، فهذا المفكر أولى الإنسان عناية كبيرة واختصر الحديث عن عاملي التراب والزمن الذين لا قيمة لهما إلا بالإنسان. الإنسان غير المتحضر سجين لانشغالاته المادية واستلابه الفكري والشلل الأخلاقي والعجز أمام التحديات ورفض النقد الذاتي والميل إلى التكديس، في المقابل، فإن الإنسان المتحضر هو الإنسان الفعال الذي يستفيد من التاريخ ويحركه، صاحب الإرادة الذي يستفيد من توجيه الثقافة والعمل ورأس المال، وتظهر فعاليته عمليا في مختلف الميادين التربوية والسياسية والاقتصادية.

Résumé :

Malik ben Nabi, préoccupé par les problèmes de la réalité, a constaté que l'essence même du problème réside dans la situation dans laquelle se trouve l'homme, c'est-à-dire que l'homme est le moteur de l'histoire et qu'il contrôle son mouvement, il a donc mis l'accent sur l'idée d'une efficacité humaine pour amener le changement. Et le temps qui ne vaut rien pour les humains, et l'homme civilisé de Malik bin Nabi, est un être humain emprisonné pour ses préoccupations matérielles et son absorption intellectuelle, sa paralysie morale et son impuissance face aux défis et au rejet de l'autocritique et de sa tendance à s'accumuler, l'homme civilisé est l'homme efficace qui profite de l'histoire. Motivé par la volonté de tirer profit de l'orientation de la culture, du travail et du capital et de montrer son efficacité pratique dans divers domaines éducatifs, politiques et économiques.

اهتم مالك بن نبي بمشكلات الواقع فرأى أنّ جوهر المشكلة يكمن في الوضع الذي يوجد عليه الإنسان، أي أنّ الإنسان هو محرك التاريخ وهو المتحكم في حركته، لذلك ركز على فكرة الفاعلية الإنسانية في إحداث التغيير، فهذا المفكر أولى الإنسان عناية كبيرة واختصر الحديث عن عاملي التراب والزمن الذين لا قيمة لهما إلا بالإنسان. كما يعتبر مالك بن نبي الإنسان غير المتحضر إنسانا سجينا لانشغالاته المادية واستلابه الفكري والشلل الأخلاقي والعجز أمام التحديات ورفض النقد الذاتي والميل إلى التكديس، في المقابل، فإنّ الإنسان المتحضر هو الإنسان الفعال الذي يستفيد من التاريخ ويحركه، صاحب الإرادة الذي يستفيد من توجيه الثقافة والعمل ورأس المال، وتظهر فعاليته عمليا في مختلف الميادين التربوية والسياسية والاقتصادية.

Malik ben Nabi, préoccupé par les problèmes de la réalité, a constaté que l'essence même du problème réside dans la situation dans laquelle se trouve l'homme, c'est-à-dire que l'homme est le moteur de l'histoire et qu'il contrôle son mouvement, il a donc mis l'accent sur l'idée d'une efficacité humaine pour amener le changement. Et le temps qui ne vaut rien pour les humains, et l'homme civilisé de Malik bin Nabi, est un être humain emprisonné pour ses préoccupations matérielles et son absorption intellectuelle, sa paralysie morale et son impuissance face aux défis et au rejet de l'autocritique et de sa tendance à s'accumuler, l'homme civilisé est l'homme efficace qui profite de l'histoire. Motivé par la volonté de tirer profit de l'orientation de la culture, du travail et du capital et de montrer son efficacité pratique dans divers domaines éducatifs, politiques et économiques.